المؤهلات الخمس
نحو اليقين

عنوان الكتاب: المؤهلات الخمس نحو اليقين

التأليف: سامح أبو رحاب

الطبعة: الأولى

الإخراج الفنيّ: عمرو وسالم سواح

تصميم الغلاف: أميرة عادل

رقم الإيداع: 15010 /2019

الترقيم الدولي: 978-977-6639-55-3

الناشر: دار تويتة للنشر والتوزيع

www.facebook.com/Tweetforpublish

tweetpublishing2017@gmail.com

ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة7

رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز

المدير العام: أ/ رشا العمري

01017799799

01225762066

تويتة Tweeta للنشر و التوزيع

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

المؤهلات الخمس

نحـــو اليقـــين

حديثان للتفكر

قال رسول الله –ﷺ– (..... فَواللَّهِ إنَّ أحَدَكُمْ – أوْ: الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النّارِ، حتّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها غَيْرُ باعٍ أوْ ذِراعٍ ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُها . وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ، حتّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها غَيْرُ ذِراعٍ أوْ ذِراعَيْنِ ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النّارِ فَيَدْخُلُها. [١].

وقال رسول الله – ﷺ – (.....إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ، **فِيما يَبْدُو لِلنّاسِ**، وإنَّه لَمِنْ أهْلِ النّارِ، ويَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النّارِ، **فِيما يَبْدُو لِلنّاسِ**، وهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ. [٢].

---

١ رواه البخاري.

٢ رواه البخاري.

قبل أن نبدأ !!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي الآمين، عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عمران: ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد .....

في الحقيقة ما دعاني إلى أن أصوغ تلك الكلمات عبر صفحات هذا الكتاب هي تلك التغيرات أو الانقلابات الفكرية التي نراها تجتاح الكثير من الناس أو ممن كنا نظنهم بخير ... نعم التغيرات ... وأي تغيرات أتحدث عنها... إنها التغيرات مما هو خير إلى ما هو آدنى، بل إلى ما هو باطل وما هو إفك مبين.

فكلنا يرى أو رأى الكثير ممن كانوا هم أهلا للعلم والصلاح ومحلا للفتوى ومصدرا للمعلومة الدينية الصحيحة ومثالا في الإقتداء ، كلنا رأى مِن هؤلاء مَن نكص على عقبيه، وخرج عن دائرة الحق وعاد بأدراجه نحو مناهج الجاهلية الأولى، وحاد عن طريقه نحو اليقين إلى طُرقا كثيرة من الضلال والإضلال، ملتبسة فيها الشكوك، منتشرة بها الشبهات، ومقدمة فيها الشهوات، فأُصِيبَ بعضهم بالإلحاد وركن أخرون إلى الظالمين وركض بعضهم خلف الهوى، وهذا بعدما كانوا سيوفا في صفوف الحق أصبحوا أشواكا في جنباته !! وقد يدعوك ما تراه من تغيرات وإنقلابات فكرية إلى البحث عن المسببات التي تقف وراءها ؟ وإلى معرفة الوسائل المثلى للتحصين من السقوط في تلك المزالق .

وهذا ما نجيب عليه – بتوفيق الله تعالى – ونشير إليه في كتابنا هذا، من خلال ذكر المؤهلات القلبية التي تجعل المؤمن أكثر يقينا بصحة سيرة في طريق الحق .

والحقيقة أن الوصول إلى اليقين في تأكيد العمل بهدي خير المرسلين لا يأتي إلا بعد تأهيل تام وكامل للنفس والبدن بكل مكامن القوة ، وكما أن إقامة برجا معماريا شاهقا راسخا يحتاج إلى عدد من مؤهلات الجودة التي هي تصنع لدينا اليقين بصلاحيته للإقامة أو السكنى ، والتى تتمثل في خصائص المكان ، وطبيعة الأرض ، ومدى مناسبة وصلاحية المواد المستخدمة في بنائه ، ومعدل الإرتفاع والإتساع ، ومدى قدرته على مقاومة التغييرات الطبيعية المعهودة والطارئة في المكان ، فكما أن تلك المتطلبات أو المؤهلات هي محل الإهتمام بتوفيرها أو التأكيد على تواجدها عند بناء برج معماري متناسب ، فالأجدر أن تكون هناك متطلبات أو مؤهلات إيمانية ضرورية في العمق التكويني للإنسان المؤمن تمنحه القوة في الأخذ، والعمل بالمنهج، وتأخذه إلى اليقين بثباته واستقراره في طريق الحق، وتحفظه - بحفظ الله – عن الجنوح بعيدا إلى غير الحق .

والمؤمن الحقيقي هو الذي يجعل منهجه قائم على الاستجابة السريعة لأوامر الله - ﷻ -، ولا يتوانى أبدا عن أداءِ أي نسك أو شعيرة

من شعائره سبحانه ، ولا يتراجع ولا يقصر في أداءِ أي عبادة يستطيع أن يتقرب بها إلى رب العالمين ، والتي منها الاستجابة لأوامره - سبحانه وتعالى - باتباع الرسول - ﷺ – اتباعا تاما صادقا ، دون زيادة تخرجه عن ميدان الحق وتدخله في بوهة الإبتداع ، ودون نقصان يهوي به في حيز التقصير بالاهمال أو يسمه بالتكاسل الذي يلقى به إلى أسوء إستغلال لوقته ولحياته .

وعلى آثر ذلك لابد للإنسان بين الفينة والأخرى ، أن يراجع بكل صدق مؤهلاته القلبية التي يستند إليها في البحث عن الماهية الصحيحة للسير في طريق رب العالمين ، حيث أنه كلما كانت تلك المؤهلات أوثق و أكثر توافقا مع طبيعة الإنسان الإيمانية وإخلاصه لله ﷻ ، كلما كانت أدق وأصدق في التعبير ، وأرجى في الثواب وأقوى في تحقيق التحصين والحماية من الوقوع في مزالق الضياع والخسران، وكلما كانت أيضا أضمن في تثبيته وترسيخ فؤاده نحو اليقين بصدق السير في هدي خير المرسلين محمد – ﷺ – ، بعكس ما إذا كانت تلك المؤهلات تأخذ طريقها إلى الضعف والوهن ، فعندها ستكون عُرى الإنسان الإيمانية أكثر تفلتا وضياعا وأشد نكارة وخسارة ، فتخيب الظنون وتسقط القيم وتُعرى المبادئ ويخسر الإنسان أخراه قبل دنياه.

وهذه المؤهلات رغم أهميتها وقوتها وصعوبة الحصول عليها إلا أن سلم الترقي فيها غير محدود بفترة زمنية معينة، إذ قد لا تتعدى برهة من الزمان عند شخص بينما تعبر الشهور والسنين عند آخرين .

وخير مثال نسوقه في هذا السياق هو قصة إسلام الصحابي **عمرو بن أقيش** - ﷺ - والذي لم يكن بين إسلامه واستشهاده إلا المشاركة – المفاجئة- في غزوة أُحد دون أن يكون قد سبق إلى علم الصحابة بأمر إسلامه شيئا غير رؤيتهم أياه ضمن صفوفهم يومئذ ، وربما أثار إنضمامه المفاجئ استشكالا عند الصحابة – رضوان الله عليهم – خاصة بعدما رأوهُ مصاباً في المعركة ضمن صفوف المسلمين ، فانطلقوا مستفهمين عن حقيقة الأمر، متقدما إياهم سعد بن معاذ – ﷺ -..... وقد نقل إلينا ذلك الموقف أبو هريرة – ﷺ – حيث قال (**فجاءه سعدُ بن مُعاذٍ فقال لأخته: سَليه: حَميَّةَ لقومك ، أَو غضباً لهم ، أم غضباً لله ؟ فقال: بل غضباً لله ولِرسوله ، فماتَ ، فدخل الجنَة ، وما صلّى لله صلاةً)** [١].

[١] صححه الالباني في صحيح ابو داود ..

وإذا ما دققنا النظر في مؤهلات الإنسان الأكثر قوة وعملا في طريقه إلى الله – سبحانه وتعالى - وجدنا مبناها وقوامها هما أساس المسير نحو اليقين ودوافع الصدق في الكلمة والاخلاص في التوجه ، وسوف نعرضها – بتوفيق من الله وفضل - بصورة مبسطة تسلسليا – من وجهة نظري - تبعا لأهمية استباق كل واحدة عن الاخرى ... فهيا بنا لنتعرف عليها .

انتبه – استعد – انطلق

والله الموفق

كتبه

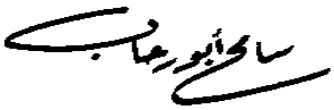

المؤهل الأول

المؤهل الأول هو الخطوة الأولى في طريق الحق وتحقيق اليقين بمدى صحة ما يكون عليه الإنسان من عمل صالح ، كما إنه هو القاعدة الأساسية التي تقوم على أركانها جميع أعمال البر.

وكلما أزداد الإنسان فيه باعا كلما أصبح أكثر قدرة على تحقيق الثبات في المؤهلات التي تتلوه ، ودعنا نستشرف ماهية هذا المؤهل من خلال الموقف التالي الذي نقله لنا البخاري رحمه الله .

فعن أنس بن مالك أن النبي - ﷺ - ومعاذ رديفه على الرحل قال : (يا معاذ بن جبل)، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال: (يا معاذ) ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك – ثلاثا – قال : (ما

من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار) .

فمن هنا تكون نقطة الإنطلاق للحصول على المؤهل الاول .... حيث لم تنفصل الشهادة بأن (لا إله إلا الله) عن الشهادة بأن محمدا - ﷺ - هو رسول الله ، فتلك الشهادتان متلازمتان حتى قيام الساعة ، تشهد بها الألسنة الندية وتقرها القلوب الزكية بلا ريب ولا تقصير ، لذا قرن - ﷺ - بين الشهادتين .

ولابد أن تكون تلك الشهادة حاملة لخصائصها السليمة والصحيحة ... بكونها شهادة شاملة .. شهادة تامة .. شهادة كاملة ... بشهادة القلب .. شهادة النفس .. شهادة الجوارح .. شهادة اللسان .

ونضرب الأن مثالا من أروع الأمثلة في تحقيق اليقين بصدق السير في طريق سيد المرسلين محمد – ﷺ - . فما هو ؟؟؟

ما أروعك يا خزيمة !!!

لقد كان اليقين بصدق الرسول و الرسالة ها هنا هو الداعم الأكبر في تميُّز خزيمة عن باقي الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – بأن منحه الرسول – ﷺ – مكافأة لم يفز بها غيره – ﷺ - .

فما الذي نسجه خزيمة – ﷺ – في صفحته الإيمانية حتى ينال هذا التشريف والتكريم من رسول الله – عليه الصلاة والسلام - ؟ وما هي المكافأة التي رصع بها تاريخه الإيماني المشرف .... فهذا ما سنرصده على السطور التالية :

فقد حدث أنَّ النبيَّ – ﷺ - اشترى فرسًا من أعرابيٍّ ، وطلب – ﷺ – من الإعرابي أن يتبعه إلى بيته – عليه الصلاة والسلام – حتى يعطيه ثمن فرسه .

فسار الرسول – ﷺ – أمام الأعرابي واستتبعه الأعرابي ، فأسرع النبيُّ – ﷺ – في الخُطى ، وأبطأ الأعرابيُّ ، فما كان من المسافة إلا وقد طالت بينهما .

وطفِق رجالُ يتعرضون للأعرابي ، فيساومونه على الفرسِ، وهم لا يعلمون أنَّ النبيَّ - ﷺ – قد اشتراه منه ... وأخذ كل رجل يعرض على الأعرابي ثمنا لفرسه ، حتى زاد بعضُهم في السومِ على ما اشتراه به – الرسول ﷺ – من الإعرابي .

وغرت الأعرابي تلك الأسعار الجديدة لفرسه التي سمعها ممن عرضوا عليه الشراء ، فأراد الأعرابي أن يتراجع عن بيعه الفرس لرسول الله – ﷺ - أو يعيد بيعه مرة أخرى بثمن جديد ...

وعندها نادى الأعرابيُّ على النبيَّ - ﷺ – وقال : إن كنت مشتريا لهذا الفرس فاشتري !! وإلا بعتُه!!.

فوقف النبي - ﷺ - حين سمع نداءَه ، فقال : أليس قد ابتعتُه منك.

فأنكر الأعرابي قائلا : لا واللهِ، ما بعتُكَه .

فقال النبيُّ – ﷺ - : قد بعتُه منك .

وطفِق الأعرابي يقول : هلمَّ شاهدًا يشهد أني قد بعته لك .

فأخذ الكثير من الناسُ يلوذون بالنبيّ وبالأعرابيّ ، وهما يتراجعان ، وأخذ ينظر بعضهم إلى بعض !! وهم فيما بينهم يتسألون !! عما ينبغي أن يفعلون ؟ أيشهدون مع رسول الله – ﷺ – ؟ وقد سبق إلى عِلمِهم مما عَلَّمَهم رسول الله – ﷺ – أن الشهادة مبناها المشاهدة أو السماع ، أم ماذا يفعلون ؟ !!!!

وقد كانوا يخشون أن يقدموا على الشهادة فيكونوا قد خالفوا ما تعلموه من رسول الله – ﷺ - ، ويخشون أيضا إن أحجموا عن الشهادة يكونوا بذلك قد أنكروا ما صرح به رسول الله – ﷺ -.

وأنى يكون لهم ذلك وهم صحابته - رضوان الله عليهم - أبعد ما يكونوا عن ذلك.

وبينما هم في هذا التنازع الفكري ، إذ يشق صفوف الواقفين أبا عمارة ذلك الرجل المقدام المعروف باسم خزيمةُ بنُ ثابتٍ – ﷺ -

قائلا بعلو صوته : أنا أشهد أنك قد بعثَه لرسول الله – ﷺ - .

فأقبل النبيُّ على خزيمةَ فقال: بم تشهدُ ؟ قال: بتصديقِك يا رسولَ اللهِ ... يا رسول الله قد صدقناك في خبر السماء ، ألا نصدقك في هذا !!! .

وعندها يعطي الأعرابي الفرس لرسول الله – ﷺ – ويقبض ثمنه ثم يولى منصرفا .

وهنا كانت المكافأة لخزيمة – ﷺ - حيث جعل رسولُ الله – ﷺ -شهادته بشهادةَ رجلينِ .

* * *

ثبات ورسوخ بالمؤهل الأول

من هنا نعرف أن المؤهل الأول هو مؤهل الإيمان الذي يعتبر اللبنة الأولى في تحقيق اليقين بصدق السير على نهج سيد المرسلين محمد – ﷺ - .

إنه هو المؤهل الأقوى في تأسيس كيان الفرد كمؤمن ، وتثبيت ركائز الإتباع ، وتوضيح معالم الطريق في السير نحو اليقين بصدق الدعوة والداعي ، بصدق الرسالة والرسول ، قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

نعم الإيمان الذي لا تشوبه شائبة منذ لحظة ولادته الأولى بالقلب ، فلا يزداد المؤمن به إلا قوة ويقينا ، حيث يجعل هذا المؤهل الإنسان المؤمن منصاعا مستسلما تمام الاستسلام لله رب العالمين ، فلا يُثنِيه عن طريقه هوى ، ولا يُوقِفَه عن هدفه عدو، ولا تُثبِط من همته زخارف الدنيا .

مؤهل الإيمان هو الذي يستطيع به الإنسان أن يدفع معوقات الباطل مهما كانت ضخامتها ، ويحطم صولة الأغلال مهما كانت صلابتها ، فعلى مر الأيام و التاريخ يرصد لنا قوة أهل الإيمان وصلابتهم أمام سطوة المجرمين والظالمين .

فها هو صوت الإيمان يجعل من كانوا ضمن فريق فرعون سادة بالانصياع لرب العالمين بعدما كانوا عبيدا لفرعون ، فيعتزلوه في قوة ، ويصدحوا بقلب واحد في ثبات ورسوخ ، فقد عرفوا الحق وأمنوا به – وأخذوا يطلقونها في الأفاق مدوية ، قائلين

﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه: ٧٢].

نعم ... إفعل ما يحلو لك فأمرك انتهى بالنسبة لنا ، وقد عرفنا الحق ، وسلمنا أنفسنا لله رب العالمين ، فلن تثنينا عن هدفنا قوة ، ولن يردنا عن غايتنا جبروت ، فقلوبنا لم تصبح ملكا لنا ، ولكنها بالإيمان أصبحت لله ولا تعمل إلا لما أراده رب العالمين .

هذا الإيمان الذي ولد بالقلب منذ لحظات بسيطة ، ورغم مهده إلا أن عنفوانه وقوته كانت فوق كل تخيلات فرعون وجنوده ، حيث ركلوا الانصياع له ، وخسفوا بجبروته وطغيانه ، وحطموا تكبره وكبرياءه بكلمة واحدة ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢] فقد أعلنوا إيمانهم المطلق بالله وإيمانهم برسالة موسى - عليه السلام - إليهم ، ورفضوا أن يجاوروا الظالمين في ظلمهم ، وأبوا أن يجورا مع الظالمين في جرمهم .

فترجمه اللسان بصدق غير متناه في القول .. اسبغته الجوارح ظاهرا باتباع موسى – عليه السلام - وباطنا بالإخلاص لله رب العالمين ، فكان منهم ما كان .

والإيمان هنا بصدق الرسول – ﷺ – هو الذي يجعل سائر الأقوال والأعمال خاضعة - لما أمر الله به - سائرة على ما كان عليه رسول الله - ﷺ - .

فهذا الإيمان هو الذي تم النداء به ، حيث قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩] . وهذا الذي ينبغي السعي إليه بتحقيقه كاملا ، والعمل في إطاره ، ويقول أهل العلم : النداء هنا نداءٌ من الخالق إلى خلقه ، وهذا وحده فيه فيض من التكريم والتنبيه إلى أنهم في علمه قائمون ، وفي رحمته غارقون ... ومن أقام هذه المعاني في قلبه لا يكاد يغفُل عما أمر الله بهِ .

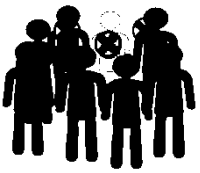

وهذا النداء وما حواه من أمر، لم يكن إلا لمن اتصف بهذه الصفة - صفة الإيمان - فالنداء هنا وإن كان موجها نحو طائفة من المؤمنين ، ومظهرا أولى صفاتهم كمخاطبين ، فإنه لا يشمل الجميع ، فمن أعطاه ظهره دخل في زمرة المستبعدين من النداء ، وعليه فلا يمكن أن يكن لهم نصيب ممن ينبغي أن يرثوه من فضائل المؤهل الأول .

والحق أن هذا شئ يحرك الخوف في قلوب الباحثين عن اليقين ، ويشعل فضيلة اللجوء الدائم إلى رب العالمين بالتحري لسبل الطريق إلى رسول الله - ﷺ.

لماذا تم استبعادهم ؟

ربما هذا السؤال هو أول ما يتبادر إلى الذهن عندما تسمع كلمة (تم استبعاهم)!!! .

ولكن عندما تعلم أن الحقيقة تقول : أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل في زمرة المؤمنين .. واقعا ضمن من نودوا بـ (يا أيها الذين أمنوا)!! قد تتبدد وتختفي حينها الكثير من علامات الاستفهام التي كانت تلوح في الأفق خاصة بعدما تبين لنا السبب العام من جراء استبعادهم، ولم يتبقى إلا الإشارة بصورة موجزة إلى الأسباب الفرعية والتي تأخذ طرقا ثلاث في بيان حقائقهم ، وإظهار أصولهم، فهيا بنا نتعرف عليها الآن .

١- السبب الأول

لأنهم اتسموا بالنفاق الصامت !!!

النفاق الصامت .... ما أصعب هذه الكلمة على من تحلى بها فهي تفضي به إلى الدرك الأسفل من النار.

وربما يكون الصمت الذي إتسم به نفاقهم قد جعل أمر التعرف عليهم من جهة المؤمنين أصعب ما يكون ... فلا علامات واضحة يهتدى بها إليهم .. ولا دلائل

راسخة نستطيع من خلالها التعرف عليهم .

وإن كان هناك ما يبين حقائقهم إلا أن إنضمامهم لصفوف المسلمين أضعف من ألية التعامل معهم بما هم أهلهُ ، وهذا ما دعى الرسول – ﷺ يقول (**لا يتحدث الناس أن محمدًا يَقتُل أصحابَه)** [١] عندما عرض عليه الصحابة - رضوان الله عليهم – قتل رأس المنافقين عبد الله ابن أبي ابن سلول .

فما أصعب من هؤلاء وما أشد من شوكتهم في جسد المسلمين ، لذا عندما جاء النداء للمؤمنين بالطاعة فلم يكن هؤلاء في مرمى الاستجابة وذلك بعدم إشتمال النداء أشخاصهم .... أو أنهم لم يستمعوا إلى النداء أو لم يسمعوه ولم يستطيعوا الاصغاء إليه ، رغبة منهم في ذلك .

وإن بحثت عن المسببات الداعية إلى ذلك فإنك تلمس بيان جذورها في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨] .. فها هو السبب يظهر جليا من حيث أنهم يقولون بألسنتهم بخلاف ما يكنون أو يضمرون بقلوبهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله: أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم.

فالمنافق - هنا - ليس مُطالباً بتلبيةِ النداء ، حيث أن أمره مفضوح ، وقوله عن ميدان الصدق مطروح - فلا يعتد به -، وطبيعته التشكيك ، يُظهر بخلاف ما يُبطن

---

[١] رواه البخاري.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] فألفاظهم تخالف معتقداتهم ، وعلانيتهم على غير سرائرهم ، ونياتهم بيتت ما لا خير فيه.

فقد أبطل الله - سبحانه وتعالى – قولهم و شهادتهم ، فقال تعالى ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١] فرغم إقرارهم بأن محمد - ﷺ - هو رسول الله ، إلا أن هذا الإقرار لا يعتد به، حيث أنه قاصرا على تصريح اللسان دون وجود ركائز له في الجنان ، ولذلك قال الله ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١] .

فهؤلاء ربما تراهم يتعبدون لله ويستجيبون لامره – سبحانه وتعالى – باتباع الرسول - ﷺ -، ولكنهم في الحقيقة غير صادقين لأن اقوالهم وألفاظهم تخالف ما في بواطنهم ، فلو صدقوا في صلاتهم ما قاموا إليها وهم كسالى ، ولو صدقوا في زكاتهم ما أخروجها وهم لها كارهون ، ولو صدقوا في الإتباع ما كانوا ليمزجوه بالابتداع.

ويؤكد عدم اشتمالهم في النداء رأي الكثير من أهل العلم حيث يقولون : الأصل في المخاطب بـ (يا أيها الذين آمنوا) أنهم المؤمنون ظاهرا وباطنا، فلا يدخل فهم المنافقون ، لأنهم ليسوا مؤمنين عند التحقيق، ولذا ضعف المحققون من المفسرين بعض الأقوال التي تقتضي دخول المنافقين في هذا الخطاب .

فالإيمان الجازم واليقين التام بصدق الرسول - ﷺ - من أقوى الدوافع نحو العمل الجاد والصدق المتناهي فيه ، وتأكيد السير الدائم إليه - ﷺ- .

فإذ اختلج القلب نقاط من النفاق فلا يستطيع الإنسان أن يقدم عملاً مبني على الإتباع ، وما يستطيع أن يقدم عملاً خاليا من الابتداع ، وما يستطيع أن يقدم قولاً صادقا خالصا لله سبحانه وتعالى ، وربما نلمح ذلك في قصص الكثير من المنافقين الذين ملأوا الأرض بأذنابهم ، وقد قال مالك ابن دينار – رحمه الله - : أقسم لكم، لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضاً يمشون عليها .. ومن القصص التي نرصدها الآن قصة الجلاس ما قاله و فعله .

ماذا فعل الجلاس ؟

من أشهر قصص المنافقين في العهد الأول، موقف الجُلاس الذي قال قولة ما هي إلا الكفر الواضح .

حيث قال الجلاس : لئن كان هذا الرجل صادقاً - يقصد رسول الله - لنحن شرُ من الحمير.

فقال له عمير بن سعد - وكان ابن زوجته - : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلي ، وأحسنهم عندي يدا – حيث كان يكفله - ولقد قلت مقاله لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمت عليها لهلكن ديني ، ولإحداهن أيسر على من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله -ﷺ- فذكر له ما قال الجلاس .

فجاء الجلاس مسرعا إلى رسول الله – ﷺ – وحلف بالله قائلا : (لقد كذب عليّ عُمير ، وما قلت ما قال) .

إلا أن الله – سبحانه وتعالى – أنزل فيه قرآنا يُتلى ، يوضح كذبه وإفكه وكفره ، حيث قال سبحانه وتعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالو كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم.....) الآيه.

❊ ❊ ❊

فهذه طبيعة المنافق على مر العصور ، أن يظهر غير ما يبطن ، ويتكلم بغير ما يكن .. و يستبدل الشر بالخير .. والمكر بالثقة .. والقطع بالصلة .. والبغض بالمودة .. والكفر بالايمان .

وبهذه الصفات السيئة التي يحملها المنافق ، فإنه لن يستطيع أن يسير نحو اليقين بصدق الدعوة والداعي والعمل بمتطلبات الإيمان .

هذا في حالة النفاق الصامت ، أما الذين تعدوا حد الصمت والإضمار بمجاهرة التكذيب والهتان والسب ، فماذا تتوقع أن يكون حالهم ؟ فهؤلاء الذين نود الإشارة إليهم على السطور التالية هؤلاء هم بلا شك أحد أهم الذين خرجوا عن دائرة الإيمان ، وهذا ما سنعرضه على السطور التالية .

٢- السبب الثاني

لأنهم تخطوا حدود الأدب !!!

فهؤلاء هم الذين تخطوا حدود الأدب عندما استطالوا على رسول الله - ﷺ - ووصفوه حتى بما لا يرضوه على أنفسهم ، ولا يرضوه على أهلهم وعشيرتهم ، فهؤلاء هم الضالون المكذبون، الذين يؤذون الله ﷻ، ويؤذون رسوله - ﷺ - في نفسه مباشرة ، دون أدنى إحترام لجلالة قدره ورفعة مكانته عند ربه ، وتعظيمه في قلوب عباد الله المؤمنين.

ويضاف إليهم أيضا هؤلاء الذين يؤذونه – عليه الصلاة والسلام - بسب زوجاته أمهات المؤمنين أو بسب صحابته الكرام - رضوان الله عليهم - ، وهم في كل ذلك لا يتورعون مما يفعلون ومع كل ذلك يدعون الإسلام .

فهؤلاء في حقيقتهم غيبوا عقولهم وقلوبهم ، عندما لم يفطنوا إلى تلك الآية التي جاءت تالية لما أمرالله به من الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - حيث يقول تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] فهؤلاء لعنهم الله ، بأن طردهم سبحانه وتعالى من رحمته ، فمن شدة نكارة وسوء فعلهم ، أسقط الله عليهم اللعن في الدنيا و في الأخرة ، كما أعد لهم من العذاب ما وُصِف بكونه مهينا ، وهذا مناسب لحالهم وطبيعتهم ، فكان العذاب من جنس ما ارتكبوه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].. حيث لم يضعوا الرسول - ﷺ - موضعه في التكريم والتعظيم ، فأصبح عليهم العذاب من جنس ما فعلوه ، وبئس ما كانوا يفعلون .

وربما جاءت الآيات متبوعة بجزاء - من لعن وتعذيب - لمن يؤذي الله سبحانه وتعالى ورسوله ، لتقطع طرفا من أفكار من تسول له نفسه بأحقيته في الأجر لمجرد التلفظ اللساني بالصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ- ما لم يكن له في القلب قواعد راسخة من التصديق .

يقول صاحب الظلال [١] في توضيح ماهيتهم : هؤلاء هم الذين يؤذون النبي - ﷺ - في نفسه أو في أهله.

ويقول - أن الله سبحانه وتعالى ينكر عليهم هذا الإذاء بعدما كرمه وعظمه بذاته تعالى، ويؤكد تفظيع الفعلة التي يقدمون عليها .

---

١ الشيخ سيد قطب في ظلال القرآن .

ثم يقول رحمه الله : أن الله أنكر عليهم هذا الإيذاء - وكان هذا الانكارعن طريقين - الطريق الأول وهو تمجيد رسول الله - ﷺ - وبيان مكانته عند ربه وفي الملأ الأعلى ، والطريق الثاني وهو تقرير أن إيذاءه هو إيذاء لله - سبحانه - ، وجزاؤه عند الله الطرد من رحمته في الدنيا والآخرة ، والعذاب الذي يناسب فعلتهم الشنيعة هو الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

والأمثلة في هذا النطاق أكثر من أن تحصى ، لكثرة هؤلاء الأفاقين من هذا الطراز الخبيث ، ومن أوضح أمثلة هؤلاء ذلك الأفاق المضل الذي ما هو إلا فردا ضالاً من الملايين أمثاله ، ونشير إليه مع العنوان التالي .

إنه من سلالة الأفاقين .

قد برز هذا الأفاق من بين أمثاله عندما كان يعمل معالجاً بالرقية الشرعية ، والحق أن الرقية التي ينتهجها ليس فيها شيئاً من الشرعية ، لا متنا ولا صفة ، ولا يحسن في هذا العمل من شيئ إلا التمثيل على المرضى والكذب عليهم ، ولا يعرف حتى أن ينطق الآيات القرآنية التي يستند إليها في العلاج بصورة صحيحة ، ومع ذلك يدعي صدق إنتمائه للإسلام وحبه لرسول الله – ﷺ – وآل بيته الأطهار وصحابته الأخيار – رضي الله عنهم أجمعين - .

لقد أصبح هذا الأفاق محل إهتمام الكثير من بني جنسه ، لا ينقل إليهم إلا الأكاذيب ولا يصور لهم إلا الضلال ... وعندما عقد معه حواراً هاتفيا من أحد البرامج التليفزيونية بإحدى القنوات الإسلامية ، أخذ يتلمظ و يتلوى كالحية الخبيثة باثاً سمومه المكشوفة بصور مختلفة .

وفي هذا الحوار تم مواجهته بمجموعة من أقواله التي كانت سباً مباشرا لأمهات المؤمنين ، وقد حاول الهروب بعيدا عن تلك الحقائق التي تم رصدها عنه بالإنكار ، ولكن عملت كثرة التسجيلات على إخماد محاولة الهروب وإبراز حقيقته ، وذلك من خلال كلامه الذي اتهم فيه السيدة عائشة – أم المؤمنين – ﵂ ، بأنها عاصية لكونها حاربت الإمام علي فيما عُرِفَ بموقعة الجمل وحكم عليها بأنها في النار ، وهي بلا شك بعيدة كل البعد عن ذلك وعما اتهموها بها – ﵂ - ... فعليه من الله ما يستحق .

فهذا أحد الأمثلة الخبيثة التي تحارب الإسلام الحقيقي سراً وعلانية ، قولاً وعملاً في كل موطن وفي كل مكان ... فإذا ما كانت تلك سماتهم ، فكيف يأتي إليهم الحق وهم عنه عازفون ، بل وبه متربصون .

أبعد هذا !!! وما حملوه من صفات هل يمكن أن يوصف أحدهم بأنه من المؤمنون ؟ بالطبع لقد غابت صفات الإيمان من أفئدتهم وظهر ذلك على ما نطقت به ألسنتهم ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

٣- السبب الثالث

لأنهم خارج التكليف !!!

والآن فما شأن من كان كفرهم صريحا بالله ﷻ وبرسوله - ﷺ – فلم يؤمنوا به ولا برسالة نبيه – ﷺ –وقد ذكر الله تصريحهم هذا في آخر سورة الرعد حيث يقول الله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد:٤٣] .

وربما – هنا - تلوح على الوجوه بوادر التعجب حيال هذا الصنف ، خاصة عندما تسمع أن هناك شخصا على غير الإسلام قد فعل فعلا من أفعال المسلمين كالتلفظ بالصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - وينتفض التساؤل لهز أركان النفس مستفهما عن الحكم في ذلك .

ويأتي مختصر الكلام ليرفع علامات الاستفهام حيث قال بعض العلماء (والذي ينبغي أن يعلم أن الكافر غير مخاطب بفروع الإيمان إن فعلها حال كفره ، لأنه إن أداها – وهو على هذه الحال – لم تقبل منه ، ولم يصح ما يؤديه من فروع الإيمان إلا بعد تحصيل أصل الإيمان، لقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣] ...

وقوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [النور: ٣٩]،

ولقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

ومن هنا نعرف أن الاستجابة لما أمر الله به ، بعد نداءه عبيده بلفظ (يا أيها الذين أمنوا) يكون جزأه بالنسبة للمؤمن في الدنيا والأخرة ، بينما لغيره يكون الجزاء له في الدنيا دون الأخرة ، والله أعلم .

هل أراد التمويه ؟

يقول أحد الاشخاص : بينما كنت في رحلة سياحية لأحدى المدن ، حدث شيء أثار ذهولي ، فمع نهاية برنامج الرحلة ،عزمت على دخول السوق لأشتري منه ما يناسبني في رحلة العودة ، وبينما اقدامي تتجول بي بين المحلات التجارية إذ بي أقف عند إحداها .

فهرول البائع نحوى قائلا : طالباتك سيدي !! فقلت له بكم هذه ؟

قال : هذا المحل من أفضل المحلات ... ونحن لا نجلب إلا البضاعة الأصلية.

فقلت له بعدما أشرت إلى واحدة مما أعجبتني : بكم هذه؟؟؟

فقال : صلى على النبي !! فقلت اللهم صلى وسلم علي سيدنا محمد .

فقال : اللهم صلى على محمد !!! وأردف قائلا : أن هذه صناعة انجليزية ، جودتها عالية جدا ، لن تجد مثيلها في السوق ، وأنا أضمنها لك ، ثم قال محددا سعرها : وهي بسعر كذا !!! .

ولكن شيئا لفت انتباهي وهو خيال ختم أخضر منقوش على رسغه ، يظهر تدريجيا مع تراجع كم ثيابه ، ثم أن هناك سلسلة تتدلى في خلسة من عنقه وتعود لتتخفى في ملابسه ، ولكن ظهورها بين الفينة والأخرى جعلني أتحقق منها .

نعم إنها تعبر عن منهجه ، ها هو الصليب يتدلى في نهايتها !!!!! فأيقنت حينها أنه على النصرانية وليس على الإسلام .

وأخذ يلوح في فكرى تسأولا !!!!! هل هذا يعني أنه مأجور على صلاته على الرسول - ﷺ -. ولكن سرعان ما عبر في خاطري معنى لقول شيخ الاسلام بن تيمية حول الحكم الشرعي في هذه المسألة ، وقد استوثقت منها بعدما عدت ، فوجدت قوله – رحمه الله – كالتالي : (وأما السلام المطلق فهو كالصلاة عليه إنما يصلي عليه ويسلم عليه أمته ، فالهود والنصارى لا يصلون ولا يسلمون عليه ، فذاك الذي يختص به المؤمنون أفضل من هذا الذي يفعله الكفار معه ومع أمته ، ولا يجوز أن يقال إن الكفار إذا سلموا عليه سلام التحية فإن الله يسلم عليهم عشرا ، فإنه يجيبهم على ذلك فيوفيهم كما لو كان لهم دين فقضاه ، وأما ما يختص بالمؤمنين فإذا صلوا عليه ، صلى الله على من صلى عليه ، عشرًا ، وإذا سلم عليه سلم الله عليه عشرًا)[١] .

---

[١] في الرد على الإخنائي .

ولا شك أن صور الكفر والكفرة وطبائعهم تتناقل عبر الزمان وتتطور مع تتطور العصور في الاسلوب والهيئة ، حتى يصبح التحدث بألفاظ الإيمان من جهة الكافرين مستساغة بدعوى التقارب الفكري أو الدمج الثقافي أو الأساليب العصرية في تسيير المصالح والتعامل مع الأخرين، كما قد يخطي البعض فيتحدث إليهم معظما معتقداتهم بنفس الدعوى السابقة ، وهذا ما ينبغي الاحتراز منه والتصدى له والدعوى إلى إيقافه .

❊ ❊ ❊

و إذا ما قلنا أن المؤهل الأول لابد أن يحوى مسوغاته الإيمانية من صدق وسلامة وخشوع وخضوع لله رب العالمين حتى نستطيع أن نقول أن من حصل عليه أصبح قادرا على الإقدام من أجل البدء في تحقيق غاياته الإيمانية ويقينه الجازم بصدق سيره .

لكن في الحقيقة أنه لا يكفي في منح الإنسان اليقين التام بصدق عمله والإخلاص فيه ، ما لم يكن متبوعا بمسوغات تأهلية أخرى ، نتعرف عليها تِبَاعاً من خلال الصفحات التالية بإذن الله تعالى ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

فهيا بنا نحو اليقين بصدق السير في طريق رب العالمين لنستشرف معالم المؤهل الثاني.

المؤهل الثاني

سأل رجل النبي - ﷺ - عن الساعة، فقال : متى الساعة؟ ، قال : (وماذا أعددت لها)؟ قال: لا شئ، إلا أني أحب الله ورسوله - ﷺ - ، فقال : (أنت مع من أحببت)[١] .

من هنا ننطلق إلى المؤهل الثاني الذي يرتكز في نفس النطاق وفي نفس المنطقة التي يرتكز بها المؤهل الأول ، إنهما يرتكزا في القلب ، ولا شك أن مجيئه تاليا لمؤهل الإيمان يبين أن هناك علاقة قوية قائمة بين الطرفين ، وفي بيان ماهية المؤهل الثاني ومنهجية العمل به ، ومدى قوته وتأثيرة في تحقيق اليقين بصحة السير في طريق رب العالمين، ونترك للسطور التالية إفادتنا بما يؤكد أهمية هذا المؤهل في طبيعته وفي ترتيبه .

---

[١] رواه البخاري.

ارتباط أم امتداد ؟

إن الإيمان يزيد وينقص كما اتفق على ذلك علماء أهل السنة والجماعة[١] مستدلين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال: ٢]، حيث أثبتت الآية أن الإيمان يزيد بمقدار توجه القلب إلى الله ، وزيادته لا منتهى لها ، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم حيث قال "فإن

لم يكن الإنسان في تقدم فهو في تأخر ولابد" لأن العبد الذي يعبد الله سائر لا واقف فإما إلى فوق وإما إلى أسفل ، وليس في الشريعة أو الطبيعة وقوف مطلقا .

وبالتالي فإذا ما ثبت وجود الزيادة فلابد أن يثبت أيضا إمكانية وجود النقصان ، ولا شك أن مخاطر النقصان تظهر من خلال الوقوع في فوهة التقصير عند عمل الطاعات أو السقوط في منحدرات

---

[١] خلافًا للخوارج والمعتزلة؛ فإن الخوارج يقولون: لا يزيد ولا ينقص ، ولهذا من عصى كفر عندهم، وعند المعتزلة من عصى صار إلى النار، وصار في منزلة بين المنزلتين في الدنيا .

المعاصي واقتراف الآثام تارة ، وتسلل الشياطين بالهمز والوساوس تارة أخرى ، في حين تظهر مكامن قوة الإيمان بالثبات على الاعتقاد الصحيح أمام التيارات الجارفة من الشبهات والشهوات .

إلا أن الإيمان القلبي للإنسان حتى يصبح في مأمن من اغتيالات الشياطين ومكائدهم لابد أن يحصن المؤمن نفسه باللجوء الدائم إلى رب العالمين طلبا للثبات على الرشد والزيادة في الهدى .

فقد جاء فيما رواه عبد الله بن عمرو أن رسول الله - ﷺ – قال (**إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسأَلوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم**).

واللجوء إليه تعالى يأتي بما هو أهله من تقديم المحبة والولاء والطاعة لله سبحانه وتعالى ولرسوله - ﷺ – ، فإن الأكثار من أعمال الطاعة يرسخ الإيمان بالقلب ويزيده إيمانيا ويقينا ، وها هي الاية الكريمة توضح لنا ذلك ، فيقول الله تعالى"

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] ،

فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٤] أي أصبح الإيمان في قلوبهم راسخا، بعدما أقاموا الصلاة بالكيفية الصحيحة ، وكان للإنفاق في سبيل الله نصيب من أموالهم، وكانت تلك الأعمال مصحوبة بالحب لله سبحانه وتعالى.

أما إذا غاب الحب عن العمل أصبح عدم قبوله أقرب إليه من غيره ، فتهتز عندئذ أسس الإيمان عند الإنسان وتطفو بوادر الكفر إلى السطح بلا قيمة ، وقد بين لنا المولى – سبحانه وتعالى – هذا المصير ، فقال ﷻ ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة: ٥٤] فبإنعدام الحب عند العمل يكون إنعدم القبول عند التقديم .

والحق أنه بمقدار وجود الحب في العمل سوف يكون إنعكاس أثره على الإيمان ، إما زيادة وإما نقصانا ، وبقوة الإيمان يكون مقدار الحب ، فالعلاقة بينهما ترابطية تبادلية بحيث يصعب عليك جعل أحدهما سببا

للأخر ولكن بصفة عامة يعتبر كلاهما إنعكاس للآخر ، أما استباقية الإيمان عن المحبة فقد جاءت مماثلة لاستباقية النهار على الليل بقيام الاعمال فيه والحركة من خلاله .

وعلى هذا الأساس ، يكون حب المؤمن للرسول - ﷺ – مسبوقا بالإيمان به ، وقوة إيمانه به – ﷺ – تدفعه نحو المحبة ، والأصل أنهما لا ينفكان عن بعضهما ، فبينما يكون الإيمان هو القاعدة التي تقوم عليه أسس الحب ، فإن المحبة تمثل المظلة التي يعيش في ظلها الإيمان بعيدا المخاطر المضعفة له ، ودور هذا المؤهل (المحبة لله سبحانه وتعالى وللرسول – ﷺ -) لا يقل قوة عن دور المؤهل الأول في تثبيت دعائم المؤمن نحو اليقين في صدق سَيرِه على منهاج رسول رب العالمين .

الإيمان والمحبة

من خلال ماسبق عرفنا مدى العلاقة القائمة بين الإيمان بالله – ﷻ وبالرسول – ﷺ – ومحبته ، وعلى السطور التالية نوضح مسببات استباقية الإيمان على المحبة ، ومدى تأثيرها في دفع الإنسان المؤمن نحو اليقين بالسير الصحيح في الطريق إلى رسول الله - ﷺ - .

أولا – أنه من شروط الإيمان ... !!!

إذا كان الإيمان من شروط تحققه وجود الحب ، فإن الحب من دلالاته وجود الإيمان ، وكلاهما يتعانقان في قلب المؤمن تلبية لنداء الفطرة السليمة وامتثالا لأمر الله ﷻ.. فيقول الرسول - ﷺ- (**لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا**)[١]، فالإيمان بمفرده لا يكفي لدخول الجنة ، ولكن هناك شروطا يستند إليها توضح مدى صحته وثباته ، وتَحَقُّق تلك الشروط تجعله دائما في ميدان الزيادة ولا يعتريه نقصان ، ومن تلك الشروط ملئ القلب محبة لله ﷻ ولرسوله - ﷺ - فإذا كان شرط المحبة بين الناس – كما ورد

---

[١] رواه مسلم عن ابي هريرة ﷺ .

في الحديث – فيه دلالة صحة الإيمان، فشرطها مع رسول الله - ﷺ- من باب أولى وأعظم .

فالإيمان بمعناه التام والشامل لا يستكمل قوته ولا تشتد عزيمته إلا مع إيجاد الحب لله سبحانه وتعالى ولرسوله - ﷺ ، وقد أخرج البخاري - رحمه الله - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (**فوَ الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**) فقد تعلق وجود الإيمان في القلب بوجود المحبة لله ولرسوله - ﷺ - مقدمة عن كل شئ بما فيها الوالد والولد.

وإن لم يكن التقديم في المحبة لله ولرسوله – ﷺ - موجود ، فقد ينازعه ما أحبه من والد وولد في أفعاله فتبعده عن ميدان الإستجابة لله تعالى ، فلا يفعل شيئا مما يرضى الله سبحانه ولا مما يرضي رسوله - ﷺ- وذلك ابتغاء مرضاة من أحبهم من دون الله ، وقد أشار الله تعالى بالتقريع لهذه الفئة ، فقال تعالى ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ** ﴾ [البقرة: ١٦٥] وإذا كانت الآية موجهة نحو الذين يعبدون الآصنام – كما يقول الكثير من المفسرين - إلا أن حال المنافقين لم يكن ببعيد عنها ، إذا جعلوا محبة ما أضمروه في بواطنهم مقدمة على ما أعلنوه على ألسنتهم ، فأفلت المحبة من قلوبهم ، ولم يقبلوا على عبادته تعالى

بخشوع وخضوع، بل وكادوا لرسالة نبيه - ﷺ -، فلم يستجيبوا لأي أمر إلا ظاهرا ، ولم يفعلوا أي فعل إلا شكلا ، فقد أضفى نوع الحب - بهذه الطريقة - على القلب طبيعته من إيمان أو كفر أو نفاق .

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - مؤكدا على مدى ارتباط محبة الله ورسوله - ﷺ- بالإيمان : (محبة الله ، بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان ، وأكبر أصوله ، وأجل قواعده ، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدّين) .

ويؤكد ابن القيم - رحمه الله - على هذا المعنى أيضا فيقول : (من آثر محبوبه بنفسه فهو بماله أشد إيثارًا (...) ولا يتم للمؤمنين مقام الإيمان حتى يكون الرسول أحب إليهم من أنفسهم ، فضلاً عن أبنائهم وآبائهم) .

هكذا يتضح لنا أن المحبة لله ﷻ ولرسوله – ﷺ – أحد أهم شروط تحقق الإيمان وثباته ، كما أن المحبة هي أحد أهم ثمرات قوة الإيمان ، فبمقدار الإيمان الذي يختلج قلب الإنسان تكون محبته لله ﷻ ولرسوله – ﷺ - .

* * *

والآن ننتقل إلى العامل الثاني في إظهار المحبة كمؤهل ثاني وتالى لمؤهل الإيمان ليدفعا المؤمن نحو اليقين بصدق سيره إلى رسول الله – ﷺ - .

ثانيا – أحد سواعد الإيمان وأساس العمل !!!

وهنا يأتي الحب متوهجا محملا بكل ما يحمله من معنى ، حتى يلازم القلب في سلامته وإيمانه ليدفعا المؤمن نحو الطاعة والعمل لله - سبحانه وتعالى- والطاعة لرسوله - ﷺ – دون كلل أو ملل .

فإن وجود الحب هو أساس العمل والاتقان فيه .. ودرجته هي أساس التضحية ... بوجود الحب وقوته يحظى المؤمن بقوة إقبال على تنفيذ أوامر الله ﷻ واتباع سنة الحبيب محمد - ﷺ – ،وبوجوده يتخطى المؤمن العقبات ، ويجول الافاق في نشر منهجه وطريقته ، وبقوة الحب يتصدى المؤمن للكروب ويخوض الحروب والتى تبدأ أولى حلقاتها مع النفس ، ويقتحم الصعاب ليعلوا بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، بوجود الحب وقوته يقدم المؤمن كل ما يملك لمن لا يعرفه دون البحث

عن هويته ومكانته ، وبهذا تعتبر المحبة لله - ﷻ - ولرسوله - ﷺ - أحد أهم سواعد الإيمان وقوته .

وهذه المحبة وخاصة للرسول – ﷺ – لم تترك دون معالجة وبيان واضح لطبيعتها ودرجتها حتى لا يقع المؤمن في جوانب شركية أو أفعال بدعية تخرجه عن الصواب ، ومن هنا نرصد السطور التالية في بيان الكيفية الصحيحة التي يُقبِلُ بها المؤمن إلى رسول الله – ﷺ – في إظهار محبته .

معالجة المحبة لتصحيح الإيمان .

ويرتكز حب العبد لله - سبحانه وتعالى - ولرسوله - ﷺ -على مجموعة من المظاهر والتي تعتبر من أفضل ما يرسم للإنسان طريقه نحو اليقين في صدق سيره إلى رسول الله - ﷺ – باتباع سنته .

والآن نتناول أهم هذه المظاهر بشئ من التفصيل .

أولا – اتساع مداه وقوته .

عند محاولة العمل على تحديد مفهوم جامع وشامل لمعنى الحب، فقد لا تجد إلى ذلك سبيلا ، وربما يعود السبب في ذلك إلى إتساع مداه ، وعلى ذلك وضح لنا ابن القيم فلسفته في الحب التي تؤكد صعوبة تحديده في إطار معين ، حيث قال: (المحبة لا تحد[١] إذ هي أمر ينبعث بنفس يصعب التعبير عنه) .

وبهذا المفهوم يقدم المحب لمن أحبه - دون تساؤل أو تردد كافة ما يمكن تقديمه من الإكرام والإجلال والتعظيم والتزكية والتفضيل والإيثار والتضحية ، فهو يقدم كل ما يملك لمن أحبه دون انتظار

---

[١] لا يذكر لها تعريف معين

المقابل منه ، وإلا كان من حَمَلَ المحبة مشروطةً بالمقابلة من أكثر الناس سقوطا في بوهات البخل .

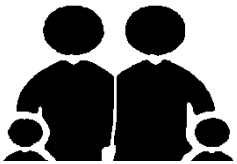

والواقع يؤكد أن الحب يختلف في درجته ومداه، تبعا لمعايير المحبة وأشكالها ووجهتها، فمحبة الأم ومحبة الأب تختلف عن محبة الابن والزوجة والاخوة، وتختلف عن محبة الأصدقاء وكل منها مختلف عن بعضه البعض .

أما محبة الله - سبحانه وتعالى- ومحبة رسوله - ﷺ – فإنها على حقيقتها لا تُحد كما أنها غير متناهية ، وتظهر تلك المحبة اللامحدودة في قلوب المؤمنين والتي تفوق كل شئ من خلال كلام زيد - ﷺ - ، فيما ورد - موقوفا -عن عاصم بن عمر بن قتادة (**أن نفرا من قريش فيهم أبو سفيان حضروا قتل زيد ، فقال قائل منهم : يا زيد ، أنشدك الله، أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمدا عندنا نضرب عنقه ؟ قال: (لا والله ، ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه بشوكة تؤذيه وأني جالس في اهلي) . قال : يقول ابو سفيان : والله ما رأيت من قوم قط أشد حبا لصاحبهم من أصحاب محمد له** [١]) .

---

[١] الطبقات الكبرى لابن سعد .

فقد نزلت تلك الكلمات المدوية الصارخة كالصواعق على القرشيين من أهل الشرك والطغيان ... نزلت عليهم وقد زلزلت أفئدتهم، وحطمت أحلامهم ، وقضت على كل أمل مرجو في نفوسهم للنيل من محمد - ﷺ - ، حتى قال أبو سفيان :عندها قتله نسطاس .

❊ ❊ ❊

وقد يتبادر إلى الأذهان تساؤلا يستهدف استبيان السر الذي تركن إليه محبة المؤمن لرسول الله - ﷺ - حتى تظل راسخة ثابته لا يعتريها وهن ولا يعصف بها شك !! ، فأجاب البيضاوي - رحمه الله - على هذا التسأول قائلا : (أن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه ، وأن ما عداه وسائط ، وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه ، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه ، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله .....) .

وبهذا يظهر سر قوة حب المؤمن لرسول الله - ﷺ – ، وما ينبغي أن تسير في ظلاله ، وهي أنها مستمدة من قوة الحب لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊

ثانيا – خارج المنافسة .

وهنا نقف مع ثاني مظاهر معالجة المحبة من المؤمن لله رب العالمين ولرسوله – ﷺ – والتي تعمل على تنقية المحبة له – ﷺ – من مسببات التقصير ، وهو ما ندع السطور التالية تشير إليه ، ونبدأ بهذه القصة للتعرف على إطار المنافسة في المحبة .

تقول له : أنا أم أمك ؟

لقد أشرقت شمس أحد الأيام على حامد وهو متوجه إلى عمله بصحبة زميل له ، ودعى الحديث حامد إلى تذكر أحد الأيام الماضية.

فقال: كنت أعيش مع زوجتى حياة أقرب إلى الجحيم بكثرة أفعالها التي لم تتوقف مطلقا عن باطل ، إلا أنني كنت دائما أحاول تحويل شراب الحنظل إلى عصير فاكهة .

ثم أردف قائلا : في ذات يوم بينما كنت اتجاذب معها أطراف الحديث ، راجيا أن تتألف بيننا القلوب ، وإذ بها تعصفني بسؤال في غاية الغرابة !!!

حيث قالت لي : أيهما أكثر حبا و قربا إلى قلبك !! أنا أم أمك ؟ .

ورغم أن السؤال أثار إشمئزازي ، وأسدل على محاولات التقريب بيني وبينها نوعا من الصعوبة ، وبعدما أطرقت مفكرا – لا بحثا عن إجابة ولكن تحيرا في علاجها.

قلت لها : في الحقيقة أنه لا مجال بين الحبين في المنافسة ولا مقارنة بينهما على الإطلاق ، فهل من الممكن أن يقارن شخص بين حبه لأبنه وحبه لأخوته ، أو حبه لأخوته وحبه لأصدقائه ، فالأصل أنه لا مقارنه بين أي نوع من أنواع الحب ، ولكن هناك أولويات تدعوها الفطرة ، حيث أن لكل نوع صفاته المنفردة ، فإنني مثلا يزداد حبي لزوجتى كثيرا لو كانت أما لي ، وحبي لأمي هو شمس أيامي وأكسير حياتي ، فحبي لزوجتى مكتسب بالعشرة وحبي لأمي مجبول بالفطرة ، حبي لأمي فهو حب للحقيقة ، وحبي لزوجتى حب لمقومات الحقيقة .

فقالت لي زوجتى مرة ثانية : ولكني أريد كلمة قاطعة ، هل تحبني أنا أكثر أم تحب أمك أكثر ؟

فقلت لها : أبعد ما قطعته هل توجد قواطع أخرى ، فهما الإثنان ليسا على فرسي رهان ، ولكن إذا أردتي أن تعرفي أيهما أكثر !! فقارني بين حبك لأمك وحبك لإخوتك ؟ عندها ستعلمين أيهما أزكى حبا وأقرب فؤادا .

إنها تحاول أن تضع محبتها ومحبة الأم على فرسي رهان ، والأصل أنهما لا يتسابقان ، وهذه المحاولة بلا شك من عظائم الأخطاء التي

يرتكبها من غابت عنه الحقيقة ، إذ أن لكل محبة مجالها وقوتها وطبيعتها ، بخلاف محبة الله ﷻ ومحبة رسوله – عليه الصلاة والسلام - .

فمحبة الله ﷻ ومحبة الرسول - ﷺ- فهي أعظم من ذلك بكثير ، إذ لها طبيعة خاصة لا تدخل بها حيز المقارنة مع الأخرين ، إنها تفوق في عظمتها كل درجات المحبة الأخرى ، وتفوق في قوتها أي قوة من جوانب المحبة الأخرى ، ولا يصلح أن تكون إلا على ذلك ، ولا يحق إلا أن تكون في هذه المكانة ، أنها المحبة الكبرى والمحبة العظمي التي تستمد كل أنواع المحبة الأخرى طاقتها منها ، بل وتستلهم كل أنواع المحبة الأخرى طريقتها بها ، فتأخذ بها صدقها وقوتها وآمدها .

فلو لم ينهل الإنسان من المحبة العظمي ما يستزيد به يقينا وما يمده به من قوة وما يضفي عليه من رضا ، لانتهت قيمته وأفلت كل أنواع المحبة الاخرى من سريرته ... و عندها قد تختفي محبة الوالدين في دار المسنين ، وتختفى محبة الاخوة مع ظهور أول بادرة للتنازع ، وتختفي محبة الاصدقاء مع ظهور المصلحة ، وتختفي محبة الأزواج والزوجات مع أول مواقف الاختلاف ، وتنفجر محبة الشهرة والمال والقيادة بلا ضوابط فتأكل كل القيم وتبدد كل مظاهر الأخلاق ، فتبحث كل محبة متوقعة عن خف وجراب تختفى فيه ، بل تمحى داخله ، فتظهر تبريرات التقصير وتعليلات المخالفة .

ومن هذا المنطلق يكون على الإنسان أن يقدم ثلاث اعتذرات لمن يحبهم، مبينا لهم أن أوليتهم في المحبة تأتي تالية وأنها مستلهمة من المحبة العظمي والتي بدونها فلا محبة لهم على الإطلاق ، وهذه الاعتذارات الثلاث تكون كالتالي :

أ – عذرا والداي وأولادي .

الاعتذار للوالدين والابناء عن تقديم محبتهما عن المحبة العظمي لا يعني أن حقهما قد أصبح في حيز النسيان ، ولكن الأصل أنه ما أحبهما الحب الحقيقي إلا بحبه لله ﷻ ولرسوله – عليه الصلاة والسلام – وما عرف حقهما إلا بمعرفته لله ﷻ ولرسوله - ﷺ- فهذا رسول الله – ﷺ – يبين لنا ويلفت أبصارنا نحو تحديد أكثر دقة وإيضاحا في درجة المحبه له - ﷺ - ، وأن هذه الدرجة وهذا التحديد لا ينبغي أن يتراجع أبدا داخل أفئدة المؤمنين عن المقدمة .

فيقول عليه الصلاة والسلام (**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[١]. فقد ارتبط وجود الإيمان في القلب ليس فقط بوجود المحبة لله سبحانه وتعالى ولرسوله - ﷺ – ولكن ارتبط بتقديمها عن محبة أقرب الناس إليه ، وهما والده وولده ، وهذه المحبة المقدمة على الوالدين والاولاد هى التي تمنح الإنسان الثبات في الرشد والعزيمة في الأمر ،

هل كان حائراً بين الحق ورغبة والديه ؟

شاب يوناني الاصل ، بلغ من العمر الثامنة عشرة مع بداية عام ٢٠٠٥ م ، وعندها بدأ في تلمس الحقيقة التي كان قلبه يتحرك شاغفا من أجل التعرف عليها ... فيمن الله عليه بنعمة الإسلام.، فتغمر السعاة حياته ويجد نفسه في بساتين الإيمان بين الصلاة وقراءة القرآن ، ولكن هل يتركه الشيطان لعيش الإيمان ؟ أم هل يتركه أهله وأصدقائه لما وُفِقَ إليه من خير .

---

[١] البخاري في باب حب الرسول ﷺ.

فبدأ بمواجه بعض المشكلات ، كان في صادرتها إعتراض أخته وخطيبته ، ولكن تمر الأيام ويستطيع إقناعهما ، في حين أن مشكلته التي ظلت قائمة هي أعتراض أمه على دخوله الإسلام ، وقد أخذت تستخدم معه وسائل متعددة منها الهجر ومنها التهديد وعملت على محاولة أقناعة بخطأ ما أقدم عليه .

ولكن الثبات الذي تحلى به استطاع أن يحطم كل محاولات إعادته إلى النصرانية مرة أخرى دون الإساءة إلى أمه بأي طريقة كانت .

فكان نعم الشاب الذي استطاع أن يجعل منهج حياته في تلك الفترة هو قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨] ، فتلك الأخلاق هي التي علمها لنا القرآن .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن : ماذا يمكن أن يحدث لو لم يكن ذلك الشاب مقدما حب الله - سبحانه وتعالى- ورسوله - ﷺ -على حب والدته ؟ .

* * *

فمحبة المؤمن لله ﷻ ولرسوله – ﷺ – فيهما الصلاح والإصلاح والفلاح والنجاة، أما أي محبة أخرى ، فلا شك أنها لو لم تكن متعلقة بمحبة الله تعالى ورسوله - ﷺ – فسوف يكون واقعها الخسارة والضياع .

ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله :

(ما من مؤمن إلا وهو يجد في قلبه للرسول من المحبة ما لا يجد لغيره ، حتى إنه إذا سمع محبوبًا له من أقاربه وأصدقائه يسب الرسول هان عليه عداوته ومهاجرته بل وقتله لحب الرسول- ﷺ - ، وإن لم يفعل ذلك لم يكن مؤمنًا) .

ب – عذرا نفسي .

أيتها النفس إنك غالبا ما تأخذي موقف العداء منى ، حتى كأني أنا لست لك ، ولا أنتِ مني ... بل الحقيقة هي أنت أنا ، وأنا أنت .... وأخشى ما أخشاه أن نجر سويا إلى ما لا يرضينا في الأخرة بسبب ما ارتضيناه سويا في الدنيا ، ولذا أعتذر أليك ، فلا استطيع أن أقدم حبك عن حب الله – ﷻ – ولا على حبي لرسول الله – ﷺ – وأعلمي أنك بمكانك حيث وضعتي ، نجاتي ونجاتك وحياتي وحياتك .

بعد تلك الكلمات التي خاطب بها الإنسان نفسه ،نأتي إليك ونقول لك : كيف يكون حبك لرسول الله – ﷺ – مقدما على حبك لنفسك ؟ وما دلائل هذا الحب المقدم على النفس ؟ وإلى اي مدى يكون هذا التقديم على النفس ؟ هذه التساؤلات يجيب عنها أنس ابن مالك – رضي الله عنه - فيما يلي :

قال أنس بن مالك – رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ - أفردَ يومَ أُحُدٍ في سبعةٍ من الأنصارِ ورجلَينِ من قريشٍ . فلما رَهقوه قال (من يَردُّهم عنا وله الجنةُ، أو هو رفيقي في الجنةِ؟) فتقدَّم رجلٌ من الأنصارِ، فقاتل حتى قُتِلَ . ثم رَهقوه أيضًا . فقال (من يردُّهم عنا وله الجنةُ، أو هو رفيقي في الجنةِ؟) فتقدَّم رجلٌ، من الأنصارِ، فقاتل حتى قُتِلَ . فلم يزلْ كذلك حتى قَتلَ السبعةَ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ لصاحبَيه (ما أنصفْنا أصحابَنا)[1] .

هكذا أظهروا قلبا وقالبا مدى حبهم للرسول – ﷺ – ومدى تقديمه عن حبهم لأنفسهم ، فلو كانت أنفسهم مقدمة في الحب عن رسول الله – ﷺ – ما استطاع أحدهم أن يبذل قصارى جهده دفاعا عن رسول الله – ﷺ – وما رضي أحدهم أن يقدم نفسه فداءً لرسول الله – ﷺ ، ولكنهم عزموا الأمر فباعوا دنياهم بحبهم لرسول الله – ﷺ

---

[1] رواه مسلم .

– واشتروا آخرتهم بحبهم ايضا لرسول الله – ﷺ – فما أهون المبيع !!! وما أعظم المشترى !! وما أَجَلُ من فوزهم بحبهم رسول الله – ﷺ - .

ويأتي لنا فاروق الأمة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه – متسائلا عن مقدار المحبة لله ﷻ ولرسوله – ﷺ – ولكن أتى لا ليستفهم بقَدرِما أراد ان يوضح ويؤكد لنا أهمية تقديم محبة الرسول - ﷺ - عن حب النفس من حيث الطبيعة أو الشكل أو القوة ، وكان هذا الايضاح من خلال حوار أجراه عمر – ﷺ - مع الرسول - ﷺ - ، ساقه لنا عبد الله بن هشام حيث يقول :

كنا مع النبي - ﷺ - وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، **فقال له عمر: يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شئ إلا من نفسي ، فقال النبي - ﷺ - : (لا ، والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر: فإنه الآن ، والله ، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي - ﷺ- : (الأن يا عمر**[1]) .... نعم (الآن يا عمر) ..

والحق هنا أنه لو لم تقدم الله ﷻ ورسوله - ﷺ - في المحبة عن نفسك وعن كل شئ، فلن يكتمل لك إيمان ولن يستقيم لك الطريق في الوصول إلى جنان ، إذ أن قوة العمل وإخلاصه لله يكمن في حجم محبة العبد لله تعالى ولرسوله - ﷺ - .

---

[1] رواه البخاري.

ج – عذرا جميع أحبائي .

ربما يكون حب الوالدين وحب النفس من أعلى درجات المحبة التي تكتنف النفس والقلب وقد أشرنا إليهما ، ولكن هنا نشير إلى أنواع أخرى من المحبة قد ينصقل القلب بها ، فيخطئ الإنسان ويقدمها حتى عن حب الوالدين والنفس ، ولكن لا يحق له أبدا أن يقدمها عن حب الله ﷻ وحب رسوله - ﷺ – إذ أن حب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لابد أن يتقدم عن اي شيئ .

فلا مقارنة بين حبك لأي لشئ من أغراض الدنيا وحبك لرسول الله - ﷺ - ، ففي اللحظة التي أرسل فيها رسول الله - ﷺ - رحمة للعالمين جاءت الأموال وأقبل الابناء ليجعلا من الحياة الدنيا مركزا للزينة ، تنسى زخارفها حقائق الأمور ومعالى الهمم في طلب السعادة بالدار الأخرة .

وفي اللحظة التي كان فيها رسول الله - ﷺ - حريصا على أمته خائفا عليها من الفتن والهلاك ، جاءت فيها الاموال والأولاد وهي عين الفتنة وجذورها .

وفي اللحظة التي كان فيها رسول الله - ﷺ - داعيا إلى الهدى ودين الحق لم يكن الهوى إلا داعيا إلى الضلال واقتراف الأثام .

وفي اللحظة التي كان رسول الله - ﷺ- يشير إلى من أحبه ممن يأتى بعد زمانه – عليه الصلاة والسلام - ويقول (وددت لو رأيت

أحبابي) كان معظم الأصدقاء ممن هم أقرب ما يكون إليك قد وقعوا في سياق قوله تعالى (الاخلاء بعضهم يؤمئذ لبعض عدو إلا المتقين)..... وغير ذلك الكثير.

❊ ❊ ❊

ويقول الحافظ أبن حجر عن الحكمة من تقديم حب الرسول - ﷺ - (..... فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول - ﷺ - الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات ، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره .....) .

وها هو رسول الله - ﷺ - يوضح لنا الدرجة التي ينبغي أن تكون عليها المحبة لله ﷻ وللرسول - ﷺ - فيقول : (**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا** .....)[١] .

فكل شئ أحببته (مما سواهما) في هذه الدنيا لا يحق ولا ينبغي أن يتقدم على حب العبد لله ﷻ ولا على حب رسوله - ﷺ- .

❊ ❊ ❊

---

[١] رواه البخاري.

فلو اهتز بالإنسان كيان النفس ، وضل فكره عن معرفة أولويات المحبة ، وغاب عن قلبه كيفية استلهام المحبة العظمي ، فوضع محبة الله ﷻ ومحبة رسوله - ﷺ -على فرسي رهان مع محبة الأموال والاولاد والأباء والأصدقاء والدنيا والهوى ، وذلك بأن يقدم ما هو لهم عما هو لله سبحانه وتعالى ولرسوله – ﷺ - ، لأصبحت عقيدته من حيث الثبات في خطر، هذا ما لم تكن قد ضاعت بالفعل .

وعلى المؤمن أن ينتبه لهذا ويراجع نفسه مرارا وتكرارا ، ويتأكد من مدى حبه لله ﷻ ولرسوله – ﷺ – حتى يستطيع إحسان السير في الطريق إلى رسول الله – ﷺ – باتباعه وتطبيق سنته .

وننتقل الآن إلى المظهر الثالث من مظاهر معالجة المحبة في تحقيق الإيمان بالرسول – ﷺ – وتصديقه وذلك من خلال وصف المحبة بالإعتدال في طبيعتها وهذا ما نكشف عنه إيضاحا من خلال السطور القادمة .

ثالثا – الاعتدال في طبيعته !!!

عند النظر إلى ما ينبغي أن تكون عليه محبة العبد لله – سبحانه وتعالى – ولرسوله – ﷺ – نجد أنه لمن الفوز الكبير أن تكون في حق الله – سبحانه وتعالى – محبة مطلقة . في حين لا ينبغي أن تأخذ نفس الإطلاق عند توجيهها للرسول – ﷺ – ولكن تتطلب مجموعة من قواعد الاعتدال تحفظها من الجنوح إلى الغلو أو من السقوط في التفريط .

واننا لا نعني (بالاعتدال) تلك الامور الوسطية بين طرفين ، إذ في الاصل أنه لا وسطية بين نقيضين كالإيمان والكفر ، ولكن ما نقصده من الاعتدال هو الاستقامة على الطريق والاستواء والتزكية بما يمنح الإنسان المؤمن القدرة على التفريق بين طرفين كلاهما يلتبس فيه الحق بالباطل فلا يجنح إلى أيهما لا بالمغالاة في فهمه أو بالتقصير في حقه ، وكلا الاثنين – المغالاة أو التقصير – قد يعودا إلى الإسراف في فتح أبواب المحبة بلا ضوابط أو إغلاقها بلا بصيرة .

وما التصوف الضال والقرآنيون الجدد إلا إنعاكس لهذا السلوك ، فبينما غالى الكثير من المتصوفة في مفهوم المحبة للرسول – ﷺ – بما أخذهم إلى منحدارات قوية من الشرك والضلال ، نجد القرآنيون

على الطرف الأخر وقد أهملوا أحد أهم مصادر التشريع مع إفتقادهم لمحبة الرسول – ﷺ - .

والأصل أنه مع تعظيم المؤمن للرسول - ﷺ – وشدة محبته له ، لابد أن يحترس من أن يلتبس عليه أمر الحق بما هو باطل أو تختلط عليه وسائل الضلال بطريق الهدى ، فلا يمزج المحبة والتعظيم بالإطراء والمغلاة اللذين نهى عنهما رسول الله - ﷺ - ، حيث قال (**لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مريمَ، إِنَّما أنا عَبْدٌ، فَقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُهُ**)[1] . فمن خلال هذا الحديث حذر النبي – ﷺ –كل مسلم من دخول دائرة المغالاة بوضعه في موضع مشابه لما قام به النصارى مع عيسى بن مريم عليه السلام، في حين جاء القرآن الكريم محذرا المؤمنين من الميل نحو التقليل أو التقصير في حق الرسول – ﷺ – فقال تعالى:

﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

---

[1] صححه الالباني في صحيح الجامع .

ووقوفا عند حد الإعتدال ، وتأكيدا على أهميته ، ودعوة إلى الإلتزام به ، فقد وضع لنا شيخ الإسلام ابن تيمية ضابطا حول هذا المعنى ، من خلال كلام نفيس ساقه إلينا رحمه الله.

حيث قال : وليس للخَلْق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم ، وليس في الوجود ما يستحق أن يُحبَّ لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه ، فإن الرسول - ﷺ - إنما يُحَب لأجل الله ، ويُطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فإذا ما كان المؤمن يحب الرسول - ﷺ - تبعا لما يريده الله - سبحانه وتعالى -، فعنئذ ستتفجر ينابيع الصدق من قلبه ويخرج منه نور الصدق ليصنعا نهرا صافيا جاريا من الطاعة له – عليه الصلاة والسلام - ، وبهذا الصفاء الذي لا يعتريه كدر ، تستقى الورود ماء الاجلال والتعظيم ، وتفوح الروائح النقية الزكية الطاهرة بالإتباع التام للرسول – ﷺ- .

الرسول – ﷺ – في عيون محبيه

يقول ابن القيم - رحمه الله- (قلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله ، فإذا لاحظ بين[١] جلاله هابه وعظمه وإذا لاحظ جماله أحبه واشتاق اليه) .

تلك هي فلسفة ابن القيم في المحبة بصفة عامة ، والتي نسج حروفها مما رأه بعيني قلبه من حب الصحابة لرسول الله – ﷺ – فقد كان قوام تلك المحبة الإجلال والتعظيم والهيبة لرسول الله – ﷺ – وحق لهم ذلك فقد كانت نفوسهم أنقى ما تكون ، وقلوبهم أصدق ما تكون .

ويوضح لنا الحسن البصري - رحمه الله – طبيعة حب الصحابة – لرسول الله – ﷺ - ، فيقول رحمه الله : إِن الْمُؤمن رزق حلاوة ومهابة ، يعني يحب ويهاب ويجل بما ألبسه الله سبحانه من ثوب الإيمان المقتضي لذلك ، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب وأجل في صدره من رسول الله - ﷺ - في صدر الصحابة رضي الله عنهم .

(أ) ويؤكد لنا إسحاق التجيبي أن ذلك الذكر للرسول - ﷺ - النابع عن المحبة، كان يفيض من جميع الصحابة ، فيقول : كان

---

[١] (بين) مصدر بان أي ظهر واتضح .

أصحاب النبي - ﷺ- بعده لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم و بكوا ..... .

فهذا عمرو بن العاص - ﷺ- يُبين إنعكاسات محبته للرسول - ﷺ- وآثارها عليه، فيقول : **(... وما كان أحد أحب إلي من رسول الله - ﷺ- ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ...)**[١] .

و تؤكد لنا عبدة بنت خالد بن معدان تلك القاعدة فتقول عن حب ابيها للرسول - ﷺ- : (ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا و هو يذكر من شوقه إلى رسول الله - ﷺ- وإلى أصحابه من المهاجرين و الأنصار يسميهم و يقول : هم أصلي و فصلي و إليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم ، فعجل ربي قبضي إليك ..... ويستمر على ذلك .... حتى يغلبه النوم) .

(ب) وحب الإنسان المؤمن للرسول - ﷺ - بمعناه الحقيقي لا يتوقف عند من شرفهم الله بأن يكونوا في صحبته - ﷺ -، ولكن أيضا عند من شرفهم الله بأن يكون – ﷺ – في قلوبهم – وإن بعد الزمان أو المكان - ، إذ أن الحب هو شعور يكتنف القلب لا يحجزه ولا يخفض جذوته بعد الزمان ولا يأفل شمسه ولا تضعف ببعد المكان .

---

[١] رواه مسلم في صحيحه.

وهذا الإمام مالك - ﷺ- عندما سألوه عن أيوب السختياني قال : ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب السختياني أفضل منه : رأيته في مكة حجتين ورأيته في الثالثة قاعدا في فناء زمزم فكان إذا ذكر النبي - صلى الله عليه و سلم - بكى ..... حتى أرحمه .

سبحان الله !!!! حتى أرحمه !!!! أي من شدة بكاء أيوب السختياني يرق له قلبه خوفا عليه مما هو فيه .

وكان جعفر الصادق[١] إذا ذكر عنده النبي - ﷺ - اصفرَّ لونه .

وكان ابن الزبير إذا ذكر عنده النبي - ﷺ - يبكي حتى لا يبقى في عينه دمع .

وكان الزهريّ إذا ذكر عنده النبي - ﷺ - فكأنه ما عرفته ولا عرفك.

* * *

[١] البدرُ التمام شرح بلوغ المرام.

وحكى القاضي عياض عن التجيبي أنه قال: واجب على كل مؤمن ذكَره - ﷺ - ، وإن ذكر عنده فعليه أن يخشع ويخضع ويتوقر ويسكن من حركته ، ويأخذ من هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به ، وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين .

فهذا عُرْوَة بن مَسْعُود - فيما رواه المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم – يقول[١] لقريش : **يا قوم والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والملوك فما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا !!! ﷺ ، والله ما يحدون النظر إليه تعظيما له وما تنخم نخامة إلا وقعت في كف [٢]رجل منهم فيدلك بها وجهه وصدره[٣] وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضئه .**

---

[١] رواه البخاري .

[٢] ذكر بعض أهل العلم أن الصحابة لم يكونوا يفعلون هذا دائما وإنما فعلوه في هذا اليوم لبيان عظمته في نفوسهم. وللرد عمليا على عروة في قوله للنبي ﷺ في بداية الحوار معه: إني أرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك.

[٣] أراد بعض الافاقين تكذيب الحديث الوارد والتشكيك من خلاله فيما نقله البخاري رضى الله عنه .

وإذا ما تتبعنا عظمة محبة الرسول - ﷺ - في قلوب أصحابه ، واثارها عليهم في حياتهم ودورها في تحقيق سرعة الاستجابة لما أمر به الرسول - ﷺ - والانتهاء عما نهى عنه ، لو تتبعنا ذلك ما أوفتك حياتك في تقصيها .

وعنئذ نتوقف - حيث الحديث يطول - وننتقل إلى المؤهل الثالث للسير نحو اليقين بهدي خير المرسلين .

فهيا بنا الان بالإيمان والحب ننطلق نحو المؤهل الثالث .

المؤهل الثالث

وقبل أن نشرع في الحديث عن خصائص المؤهل الثالث نشير إلى حدث كثيرا ما يتكرر بيننا ولا تعني بالإشارة إليه أنه سوف يكون محور الحديث ، كما أننا لا نعنى تبيان الحكم بقدر ما نعنى إيضاح موقفا تسير على مماثلته الكثير من المواقف في الحياة ، فهيا بنا .

يقول : كنا نعمل في صمت داخل المؤسسة ، وكل منا منهمك في عمله ، وإذ بأحدى زبائن المؤسسة تدخل إلينا ، وهي تحمل معها علبة كبيرة من الحلوى ، وقالت

هذه لكم بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، فقال لها أحدنا ، جزاك الله خيرا ، مقبولة منك ، ولكن لي سؤال !!! هل احتفل النبي – ﷺ – بمولده ؟ ، أم هل احتفل به أحد من الصحابة – رضوان الله عليهم - ؟ ولكنها اكتفت في ردها بلهجة قاهرية على قولها (انتو متعرفوش أنا بحب النبي قد ايه) وانهمرت في البكاء .

❊ ❊ ❊

ها نحن قد أقتربنا من وضع ايدينا على أعتاب المؤهل الثالث والذي يعتبر من أكثر المؤهلات إظهارا لحقائق النفس البشرية ، إذ لا يصلح فيه التظاهر و الإدعاء - كمن يدعي الإيمانأو المحبة - كما أنه قد تكتنفه زيادة غير مشروعة في الأداء أو يشوبها تقصير عن العمل الحقيقي أو تعتريها مخالفة عند غياب الفهم الواعي وإستلاء الأهواء على مدارك الإنسان .

لذا لا يستطيع أن يصل إلى اليقين التام إلا من كان يقظا لنفسه في حله وترحاله ، فطنا للعمل بالبنان وليس مقتصرا على حسن البيان ، مهتما بتحسين العمل أكثر من تجميل القول ، إذ يقول الله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧] ... وحسن العمل يكون بالاخلاص فيه لله - سبحانه وتعالى - وتبعا لما جاء به رسوله - ﷺ -، فكثيرا كثيرا ممن يسردون الاحاديث سردا بما لا حصر له ويحفظون

من الآيات ما لا تستطيع أن تسابقهم فيه ، ويقصون عليك من القصص والحكايات الوعظية ما يشخذ ذهنك ويفجر مشاعرك ويجعل الدموع تنهمر على وجنتيك، ولكنهم هم أنفسهم في ميدان العمل أضعف ما يكونوا ، وأفقر مما تتصور .

علامة استفهام ؟؟

وقبل أن نيمم وجهتنا نحو محاور الإتباع، نطرح هذا التساؤل لنستوثق من ضرورة الحصول على المؤهل الثالث ، وهو

هل يمكن أن تكفي المحبة في تحقيق اليقين بصدق السير في طريق خير المرسلين ؟ أم أننا في حاجة إلى مؤهل الاتباع بصورة لا تقل أهميتها عن مؤهل المحبة لله سبحانه وتعالى ولرسوله – عليه الصلاة والسلام ؟ .

ولنستمع الآن إلى الجواب الذي سطره لنا الحسن البصري – رحمه الله - ، حيث يقول : (ابن آدم لا تغتر بقول " المرء مع من أحب "، بل إنه من أحب قوما اتبع آثارهم ، ولن تلتحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم وتأخذ بهديهم وتقتدى بسنتهم وتصبح وتمسي على منهاجهم) .

إذن ليس إعلان الحب دليلا على قوته ، ولا قاطعا في انتهاء العمل وتبرئة النفس من القيام بما كُلفت به ، ولا كافيا في بيان حسن الإستجابة لله ﷻ ولرسوله – ﷺ - ولكن الحقيقة تقول أن أبسط دلالاته التي ينبغي أن يكون عليها هي العمل لمن يحب بما أحب.

فهذا أنس بن مالك ﷺ يبين لنا كيف وضح الرسول – ﷺ – لأهل البحرين دلائل المحبة التي ينبغي أن يكون عليها العبد المحب لله ﷻ ، حيث قال أنس – ﷺ – (**نزل بالنبي - ﷺ- أضياف من البحرين فدعا النبي بوضوئه ، فتوضأ ، فبادروا إلى وضوئه فشربوا ما أدركوه منه . وما انصب منه في الارض فمسحوا به وجوههم ورؤوسهم وصدورهم ، فقال لهم النبي – ﷺ – ما دعاكم إلى ذلك؟ قالوا : حبا لك ، لعل الله يحبنا يا رسول الله . فقال رسول الله – ﷺ – (إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحسن الجوار ، فإن أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد)**[١].

وهنا يتضح لنا أنه إذا ما عمل الإنسان لمن يُحِب بما أحب فاز بحبه ، ومما يحبه الله – سبحانه وتعالى – أن تكون متبعا لسنة نبيه – ﷺ – فقد قال بعض السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ، ثم تلا قوله تعالى :

---

[١]- السلسلة الصحيحة للالباني .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ..

والمعنى المبسط للاتباع هو متابعة المحبوب في جميع جوانب حياته ، خطوة خطوة ، دون المخالفة لا بزيادة ولا بنقصان ، فإذا ما كان الاقتداء موجها بصورة كبيرة نحو الإلتزام في المنهج ، والتأسي يكون بالإلتزام في الجوانب الخلقية والتربوية ، فإن الإتباع هو الشمول التام للمصطلحين (القدوة – الأسوة) .

وخير ركائز الإتباع أن تكون على ما كان عليه رسول الله - ﷺ - ، إذ لا أصلح ولا أفضل ولا أعظم من كون مصادر أفعالك وأقوالك تأخذها عمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وقد أمرنا الله تعالى بالإتباع ، فقال في كتابه الكريم" ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

محاور الإتباع

ومع تذوق المؤمن لحلاوة الإيمان وإنشراح صدره بسماحة الإسلام ينطلق سائرا وأشواقه تسابق الرياح نحو ميدان التطبيق في ساحة العمل ، غير مكترث بأي صعوبات أو معوقات قد تواجهه ، ويسير بخطى ثابته نحو تطبيق سنة الرسول - ﷺ- في أضواء ثلاث.

١ – الشمولية .

بمعنى أن تكون جميع أفعالك وأقوالك - صغيرها وكبيرها – مردها ومصدر العمل بها، هو ما كان يسير به رسول الله - ﷺ –. وقد قال سفيان الثوري رحمه الله : (إن استطعت أن لا تحك شعرة إلا بدليل فافعل) ، ثم اتبع قائلا : (الحديث دَرَج والرأي مَرَج، فإذا كنت على الدَّرَج ؛ احذر أن تزل قدمك فتندق عنقك، وإذا كنت في المرج فسر حيث شئت) بمعنى أن اتباع السنة مثل الدرج للسلم لابد من الحذر معه ، إذ لو خالفت السير عليه قد تسقط، والسقوط حينئذ سيكون على رأسك ، فالإلتزام به والحذر خير معين على ضمان السلامة ، أما إذا أردت أن تسير على هواك بعيدا عن اتباع السنة ،

فكأنك تمشئ في الصحراء حينها سر كما تحب طالما أنه لا قانون يحكمك ..... فالخير كل الخير أن تكون أعمالك تبعا لما كان عليه رسول الله – ﷺ - .

فقد أكد لنا الرسول - ﷺ - على أهمية اتباع اثره في كل شئ سواء كان كبيرا أو صغيرا، حيث جاءنا هاديا إلى كل ما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، فبدأ من أعظم ركن وهوعماد الدين واشار إليه ، فقال - ﷺ - (**صلّوا كما رأيتُمُوني أُصَلّي**) [١].

كما أكد لنا - ﷺ - أهمية تتبع اثره – عليه الصلاة والسلام - في سائر السنن الوارده عنه حيث قال:(**فعليكُمْ بِسُنَّتِي** .....) [٢]، أي إلتزموا بها وتمسكوا وسيروا في ضوءها ، حيث بها الأمن ومعها الأمان وإليها السلامة وفيها الإسلام .

وفيما بين الحديثين مساحة كبيرة من الأعمال الصالحات في جميع المجالات سواء كانت قولية أو قلبية أو عقلية أو جسدية ، يكون أساس صلاحها الاخلاص فيها لله ﷻ والاتباع لرسوله - ﷺ - .

---

١ رواه البخاري .

٢ صححه الالباني.

٢- الالتزام والتقيد .

فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أكثر الناس إلتزما بما يفعله أو يقوله الرسول - ﷺ -، وكانوا أسرع الناس استجابة لما يطلبه - ﷺ -، وأدق الناس تحريا لهدى الحبيب محمد - ﷺ -.

فهذا عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت الحرام ، ينصب على الحجر الأسود مُقبلاً إياه ، ثم يقف أمامه في إجلال وتعظيم لما كان يفعله رسول الله – ﷺ - ويقول : (**إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**) [١].

وقد تلمس أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب في فعله نهج نبينا محمد – ﷺ – مشيرا إلى أهمية الالتزام دون البحث عن العلل والأسباب ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في جميع أركان حياته.

فيكون عين الاتباع أن تفعل ما فعله رسول الله - ﷺ - دون زيادة أو نقصان ، وإلا خرجت من حيز الاتباع وأنت لا تدري ، يقول بن القيم (لا ريب أن الخوارج كان فيهم من العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة ، ولكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين) .

---

[١] البخاري ومسلم.

وعن سفيان بن عيينة قال : سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله - ﷺ – فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل ، فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه ؟! إنما هي أميال أزيدها ! قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] .

ولهذا قال عبد الله بن مسعود وأبي بن مالك–رضي الله عنهما- : (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة) .

وقد مال البعض عن الاستنباط السليم لمعنى - إقتصاد في سنة -على أنه تصرح بجواز تركها ، وهذا بالتأكيد على غير الصواب ، إذ أن الاقتصاد بمفهومه المعروف يخالف الترك ، فبينما يشير الترك إلى عدم الفعل بالكلية فإن الاقتصاد يشير إلى عمل المؤمن بما يكون في إستطاعته طبقا لحاله وحفاظا له على استمراره ، وقد وضح لنا رسول الله - ﷺ - ذلك فقال (**وأنَّ أحبَّ الأعمالِ أدوَمُها إلى اللهِ وإن قلَّ**) [1]، فصلاة ركعتين كقيامِ ليلٍ أفضل من ترك القيام بالكلية وأحرى بالاستمرار من قيام عشرة ركعات فترة بسيطة ثم التوقف عنها.

---

[1] رواه البخاري .

٣- المسارعة في العمل.

نأتي هنا لنقف قليلا إلى المحور الثالث من محاور الإتباع للرسول - ﷺ - ، لنتبين دوره الكبير في التفريق بين من هو صادق الإتباع ومن هم على غير ذلك .

فلقد مدح رب العزة المسارعون في العمل الصالح ، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

كما بين رب العزة حالة المؤمنين عند قيامهم بالاعمال الصالحة ، والتي تتمثل في خوفهم من عدم قبول أعمالهم ، ومع ذلك لا يتوقفون عن العمل الصالح ، بل به قائمين وإليه يسارعون ، فقال سبحانه في بيان ذلك:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١] .

كما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالمسارعة إلى طلب المغفرة منه - سبحانه وتعالى - والمسارعة إلى جناته ، فقال ﷻ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

والمسارعة إلى الجنة لا يتأتى إلا لمن كان على نهج نبينا محمد – ﷺ- ، فقد روى لنا أبو هريرة – ﷺ– أن رسول الله – ﷺ– قال : (**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلّا مَن أَبى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبى؟ قالَ: مَن أَطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصانِي فقَدْ أَبى** [١] ،

وبهذا نعرف أنه من الإتباع الصحيح للرسول – ﷺ – والطاعة له ، المسارعة في العمل بما كان عليه - ﷺ - دون البحث عن الاسباب والمسببات الداعية إلى ذلك أو العلل التي تدعو إليها أو الحكمة من وراء كل ذلك - وإن كانت ظاهرة فلا بأس -، متيقنا أنه لا خير إلا فيما كان عليه رسول الله – ﷺ - .

وتكون المسارعة في العمل بالاداء فور سماع الأمر فيه ، أو بالترك بمجرد وصول نبأ النهي عنه .

---

[١] رواه البخاري .

لا آخذه أبدا

لقد سجلت لنا السيرة النبوية الكثير من مواقف الصحابة - رضوان الله عليهم - التي تظهر فيها مدى الاستجابة والطاعة للرسول - ﷺ - وإن كان على غير ما يختلج النفس والعقل ، ومن تلك المواقف ... موقفه - صلوات الله وسلامه عليه – عندما رأى خاتما ذهبيا يلبسه أحد صحابته – عليه الصلاة والسلام – فعمل على القيام بنزعه من يده وألقاه على الأرض ، محذرا إياه من لبسه مبينا له عاقبة هذا الأمر.

وقد نقل إلينا هذا الموقف الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال : (**أن رسول الله - ﷺ - رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه ، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله - ﷺ- : خذ خاتمك انتفع به** [١] **، قال: لا والله لا آخذه أبدا، وقد طرحه رسول الله - ﷺ)** [٢].

---

١ أي بيعه وانتفع بثمنه.

٢ رواه مسلم .

قال ابن عثيمين في شرحه لهذا الحديث : من فوائد هذا الحديث، بيان كمال صدق الصحابة في إيمانهم ، فإن هذا الرجل لما قيل له خذ خاتمك انتفع به ، قال : لا آخذ خاتماً طرحه النبي - عليه الصلاة والسلام - ، وهذا من كمال إيمانه - ﷺ -، ولو كان ضعيف الإيمان لأخذه وانتفع به ببيع أو بإعطائه أهله أو ما أشبه ذلك .

وهذا معاوية يتراجع !!

ولا شك أن المسارعة في ترك الاشياء التي تركها رسول الله - ﷺ - أو لم يفعلها من سمات أصحاب الإيمان الصادق و القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة والإتباع التام والواضح للرسول - ﷺ - ، هؤلاء هم الذين لا يجدون حرجا في ترك ما لم يفعله رسول الله - ﷺ- خاصةً بعدما تبين لهم أصله وعَلِمُوا حقيقة أمره .

فهذا معاوية - ﷺ - حينما كان خليفة للمسلمين ، وجاء إلى مكة للحج فطاف بالبيت وأخذ يستلم جميع الأركان الأربعة .

فنظر إليه ابن عباس - رضي الله عنهما – منكراً عليه هذا الفعل ، وقال له : إن الإستلام لا يكون إلا باستلام الركنين فقط !!

ولكن معاوية أجاب بما لا يجد من وراءه بأسا من الزيادة في التعبد ، وقال له : لا أرى شيئاً من البيت مهجوراً .

فتعجب ابن عباس من رد معاوية وقال له : ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

فما كان من معاوية إلا أن يبدى اتباعه الخالص للرسول – ﷺ - عن يقين تام بعدما تلقى تلك التذكرة ، فقال : صدقت يا ابن عباس ، وترك استلام كل شيء من البيت إلا الركنين .

فهذا معاوية - رضي الله عنه– استجاب مباشرة بمجرد ما ذُكِرَت له الأية وترك ما كان يفعله ، فلم يجادل في القول .. ولم يحاول أن يفسر أو يضع أفضلية لفعله ، ولم يبحث عن أقوال أو أراء أخرى ليتخذها ركيزة في بناء فعله ... فلم يتزمت لفعله ولم يتعصب لفكره ، إذ أن الموطن موطن انصياع وتسليم وإتباع لرسول رب العالمين الذي لا ينطق عن الهوى .

وحق لمعاوية أن يفعل ذلك ولا يخالف سنة الحبيب – عليه الصلاة والسلام - وقد دعى له– ﷺ – فقال { اللهمَّ اجعلْهُ هادِيًا مَهْدِيًّا، واهْدِه، واهْدِ بهِ)[1] .

---

[1] السلسلة الصحيحة .

فضمان سلامة السير نحو اليقين لا يتأتى إلا بعد التمسك بسنة سيد المرسلين – عليه الصلاة والسلام -.

لذا قال الزهري رحمه الله : الاعتصام بالسنة نجاة ، ويكون الاعتصام بالسير تبعا لما أراده الله و بفعل ما فعله - ﷺ - وترك ما تركه.

وفي هذا النطاق نشير إلى موقف حدث مع الوليد ابن عبد الملك عندما دخل عليه ابن شهاب فسأله عن حديث "إن الله إذا استرعى عبدا الخلافة كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت" فقال له: هذا كذب، ثم تلا ﴿ يَدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦] إلى قوله: ﴿ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦ ﴾ [ص: ٢٦] ، فقال الوليد: إن الناس ليغروننا عن ديننا .

فمن أهمه أمر نفسه فعليه أن يسعى إلى إرضاء الله - سبحانه وتعالى- وليفعل كما فعل رسول الله - ﷺ – تطبيقا لقوله تعالى ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، فلا يتحدث إلا فيما يرضاه الله سبحانه وتعالى ، وما سنه رسول الله – عليه الصلاة والسلام -، ولا يحط بموطن في حِلهِ أو ترحاله إلا بناء عن دليل وارد أو برهان ساطع أو حجة ثابتة عن رسول الله - ﷺ -.

قال الإمام أحمد : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به ، حتى مَر بي أن النبي - صلى الله عليه و سلم - احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً ، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت .

ثم يبين رحمه الله أهمية إقتفاء أثر الرسول – ﷺ – في كل شئ ، فيقول رحمه الله : إن استطعت ألا تحك شعرة إلا بأثر فافعل ، وقال أيضا : إني لأرى الرجل يحي شيئا من السنة فأفرح به .

فتحويل أقوال وأفعال الرسول - ﷺ - إلى ميدان التطبيق وجعلها منهج حياة ليس بالأمر اليسير إلا على من كان إيمانه خالصا وحبه صادقا ، والتمسك بها طوال الطريق ليس بالشئ الهين إلا على من كان منهجة الاتباع ، والأمر هنا يحتاج إلى مجاهدة مستمرة ، وإخلاص تام لله ، وحب متغلغل يفوق حب النفس ضارب بجذوره في القلب لله سبحانه وتعالى ولرسوله - ﷺ - .

هل من حجة عند المخالفة ؟

ومهما تطورت العصور وتغيرت الحضارات في إنظمتها فلا يوجد للإنسان حجة في ابتعاده عن آثر الرسول - ﷺ - ، فما من أمر جاء بعد عهد الرسول - ﷺ - إلا وكان له نموذج - ماثله شكلا أو صفة أو فكرة أو منهجا - قد حدث على عهده - ﷺ -، خاصة بعدما أخبرنا رسولنا - ﷺ - عن كل أمر ، وعلمنا كل شئ ، فلم يترك لنا أمرا إلا وضحه ، ولا شيئا إلا بينه.

فعن العرباض بن سارية قال: **وعظنا رسول الله - ﷺ - موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك }** [١] .

وقال أبو ذر - رضي الله عنه - : { **لقد توفي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما** }[٢]، فجميع الأمور التي تنظم لنا حياتنا بدقة متناهية وترسم لنا طريقنا

---

١ رواه بن ماجة وصححه الالباني.

٢ أخرجه الإمام أحمد .

بإتقان كبير ، أصبحت واضحه وتامة ، وكاملة ومتكاملة لا يشوبها نقصان ولا يورايها ويحجب نورها كتمان ، وحتى نحياها سعداء وننتقل منها إلى غيرها أكثر سعادة ، فما علينا إلا أن نجعلها كما أراد الله – سبحانه وتعالى - وتبعا لسنة رسوله - ﷺ -.

وقد حذرنا رسول الله - ﷺ - من المخالفة ووضح لنا عواقب مخالفة المنهج ، بأنها لا تكون إلا وبالاً وحسرةً على المخالفين في الدنيا والأخرة ، فقال – عليه الصلاة والسلام- فيما روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها: أن رسول الله - ﷺ- قال { **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ** } [١] اي هو باطل ومردود ولا يعتد به .

فالسلامة السلامة والنجاة النجاة في اتباع منهجه - ﷺ -، وهذا الاتباع بمعناه الصحيح يمنح الإنسان طاقة إيجابية نحو الاستقرار النفسي والرضا الداخلي والشعور الحقيقي بالسعادة .

ولا شك أن أكثر الناس تطبيقا لسنة الرسول - ﷺ - هم أكثرهم سلامةً وأمنا ويقينا بصدق منهجهم في طريقهم إلى الرسول - ﷺ -.

وقبل أن نيمم وجهتنا نحو المؤهل الرابع ، لابد أن نعرض هذا الاستفسار على أنفسنا، حتى نتيقن من مدى استفادتنا من المؤهلات

---

[١] البخاري.

الثلاث السابقة ومدى ضرورة وأهمية المؤهل القادم ، ويتمثل هذا التساؤل فيما يلي :

هل إن استطعنا إن نحقق قدرا من اليقين والاخلاص في طريقنا إلى الرسول - ﷺ - من خلال المؤهلات الثلاث السالفة ، فهل يعني ذلك أننا قد وصلنا إلى ذروة العمل ؟ أم لازالت هناك مؤهلات أخرى نحن في حاجة إليها ؟

ولكن دعنا نتلمس الإجابة أثناء الحديث عن المؤهل الرابع ، فهيا بنا .

المؤهل الرابع

يعتبر هذا المؤهل هو الأقوى والأكثر تأثيرا في الأخرين وليس على المستوى الشخصي فقط ، وذلك لأن إنعكاسات المؤهلات السابقة تكون واضحة على ذات من يتقلدها بينما إنعكاسات هذا المؤهل أوضح ما تكون على الأخرين .

- ولكن دعنا نبدأ حديثنا بهذا الحوار.

قال: هل بعد المؤهلات السابقة نحتاج إلى مؤهلات أخرى ؟ !!!

قلت: نعم .... بالتأكيد !!!!!

قال: ولكن كيف ذلك ؟ ألم يكن الإيمان متوافرا والمحبة موجودة والاتباع حاضرا !!! فأي مؤهلات نحتاجها بعد هذه المؤهلات الثلاث الكبري ؟!!!!!

قلت: قبل أن أجيبك ... تعال معي إلى قصة الحواريون واستمع لما ذكره القرآن الكريم عنهم ، حيث قالوا فيما ذكره القرآن ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٣] ، فهؤلاء الحواريون رغم أنهم اقروا وأكدوا وجود الإيمان في قلوبهم ، وأعلنوا اتباعهم لعيسى ابن مريم – عليه السلام – وطلبوا أن تدون أسمائهم ضمن أهل الحق ، إلا أن القرآن رصد تحركا لبعض منهم على غير الصواب ، فقال تعالى:

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ[1] وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ[2] ﴾[آل عمران: ٥٤]، أي بعدما قالوا ذلك وأقروا إلا أنهم تواطوا بعضهم مع بعض على الفتك بعيسى ابن مريم ، وهذا المكر صفة خلقية ذميمة أصابتهم ، دارت على أعمالهم فجعلتها كأن لم تكن ، حتى أصبحوا من الخاسرين .

قال : إذن أنت تقصد أن المؤهل الرابع الذي لابد منه وهو ..... !!!

---

[1] ذكر السدي : مكر الله بهم : إلقاؤه شبَه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عزوجل عيسى قبل ذلك ..

[2] قال الشعراوي رحمه الله : ليس من أسماء الله مخادع، أو ماكر، إياك أن تقول ذلك، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، وجاء القول هنا بمكر الله كمقابل لفعل من البشر، ليدلهم على أنهم لا يستطيعون أن يخدعوا الله، ولا يستطيعون أن يمكروا بالله، لأن الله إذا أراد أن يمكر بهم، فهم لا يستطيعون مواجهة ذلك ..

قلت : نعم أنه هو !!!! وقبل أن ندخل في بعض تفاصيله تعال معي أيضا إلى القصة التالية لترى كيف كان له أثره الكبير في هداية الكثير من الناس لدعوة الإسلام.

لماذا اعتنق الإسلام؟

لم تكن الدعوة المباشرة هي السبب وراء إسلام المواطن الفرنسي روبالو فريديريك، لكن كان هناك عامل رئيسي آخر وراء تحوله من المسيحية للدين الحنيف ، فما هو ؟ .

يقول فريديريك الذي أصبح اسمه أحمد : أن إحساسا جميلا بالانتماء راوده بين الجزائريين لما كلف بإدارة مشروع لشركة فرنسية بإحدى المدن الجزائرية، فرغم اختلاف الدين إلا أنهم احتضنوني كفرد في المجتمع بشكل خلف لدي انطباعا مشرقا عن المسلمين.

ثم أردف قائلا : وما زاد إعجابي بالعاملين معي في المشروع الذي أُدِيرَهُ أنهم لم يكونوا يدعونني لإعتناق ديانتهم بشكل مباشر بقدر ما كانت تصرفاتهم عن صدق وأمانة وخوف من الله هي التي تدعوني الى الإسلام.

ويقول أيضا : في فترة وجودي في الجزائر بشهر رمضان رأيت جميع الموظفين صائمين ففكرت في أن أجرب الصيام معهم وفعلا صمت شهر رمضان كاملا وعشت جواً روحانياً لم أنعم بمثله في حياتي .

نعم إنها أخلاق المسلمين التي علمها لهم الاسلام ليكونوا بها سادة وقادة، الأخلاق التي تُبنَى بها صُروح الحضارات ، وأنا لا أعني الحضارات المادية فقط ولكن ما أعنيه هو الحضارات المادية والروحية ذات المرجيعية الدينية الصحيحة ، والتي تنقل الإنسان من عالم الفناء إلى عالم الوجود المطلق أو الخلود الأبدي في رحاب جنات النعيم .

ومن هنا نعرف ماهية المؤهل الرابع ، إنه { **مؤهل محاسن الأخلاق** } الذي لا ينبع إلا عن صفاء ، ولا ينبت إلا النقاء ، فحسن الخلق هو الذي يجعل الرحمة تسبق العدالة ، ويجعل العفو تسابق المغفرة ، ويجعل الإيثار يتقدم على التفضيل ، هو الذي يجعل الفاضل يتفوق على الأفضل .

علاقته بالمؤهل الثالث .

بعدما عرفنا ماهية المؤهل الرابع وقوامه ، والآن لابد أن نعرف أننا إذا ما أردنا أن نقف على أبواب هذا المؤهل بقوة ، فلابد أن يؤخذ في الاعتبار استيفاء معايير النجاح والتفوق في المؤهل الثالث حيث أنه لا تبتعد أبدا أهمية اتباع سنته - ﷺ – فيما صدر عنه قولا أو فعلا أو تقريرا ، والاستجابة

لما أمرنا به والانتهاء عما نهانا عنه ، لا تبتعد عن ضرورة التحلي بأخلاقه - ﷺ -، بل قد يتلازمان ويتطابقان .

والحق أنه بينما تظهر أهمية الاتباع في الاعتقادات والعبادات ، تظهر أهمية مكارم الأخلاق في المعاملات والعادات ، وفي الاتباع جاء ما هو مطلوب أداءه ، وما هو محذور فعله ، وفي ميدان الأخلاق جاء ما فيه الأمر بأداءه وسمي بالأخلاق الحسنة ، وجاء ما فيه النهي عنه ، وسمي بالأخلاق السيئة أو خلق السوء ، وأشار القرآن الكريم إلى القسم الأول من الأخلاق فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠] ، وفي تمام نفس الآية أشار تعالى إلى القسم الثاني الخاص بالنهي عن ارتكاب الأخلاق الذميمة، فقال تعالى ﴿ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

وبهذا تعتبر الأخلاق الحسنة أحد أهم المؤهلات الخمس التي نتحدث عنها . وخير من يهتدى بهديه في ميدان الأخلاق الحسنة هو رسولنا الكريم محمد – ﷺ – حيث وصفه ربه بوصف شامل جامع فقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ [القلم: ٤] ، ولاشك أنه لا يتحلى بأخلاق الرسول - ﷺ – إلا من كان أكثر الناس اتباعا لسنته - ﷺ - ، ومن تتبع سنته - ﷺ - كان أكثر الناس قربا من التحلي بأخلاقه – عليه الصلاة والسلام -. وكلاهما يعتبر إنعكاس للأخر أو مؤشر صعود أو هبوط له .

وكلما كان الإنسان أكثر تخلقا بما كان عليه رسول الله – ﷺ – كلما كان أكثر ثباتا وأكثر يقينا بصدق عمله في طريق الحق ، وكلما كان أقل تخلقا بما كان عليه – رسول الله ﷺ – كلما كان أضعف يقينا وأهون ثباتا فيما يعمل عند السير في طريق الحق .

موروث لا ينتهي !!!

والتحلي بأخلاقه - ﷺ- تظهر ملامحه على المؤمن في عفوه مع قدرته .. وفي رحمته مع سلطانه ... وفي تواضعه مع غناه ...وفي خوفه حتى على من آذاه .... إلخ .

فالتحلي بأخلاقه – عليه الصلاة والسلام - يمنح المؤمن قوة على قوة ، فبجانب قوة القلب التى يكتسبها مع زيادة الإيمان تكون قوة النفس بمحاسن ومكارم الأخلاق ، فبينما يأبى قلبه أن يعمل إلا ما هو لله خالصا ، تأبى نفسه أن تميل إلا لما فيه رضا الله ، فيصبح بنيانه في الحق راسخا ، وهامته ووجدانه في الطريق إلى رسول الله – ﷺ – شامخا ، وذلك بمنحه الاستمرارية والثبات والشمولية لأعماله الصالحات في الدنيا من جانب ، وحسن الإقبال إلى الله يوم القيامة وذلك بمصاحبة رسول الله - ﷺ –من جانب أخر.

والآن نقف عند ثمرتا هذين الغصنين بشئ من التفصيل ، حتى نصل إلى مبتغانا في معرفة دور محاسن الأخلاق في تصدى المؤمن للأمواج التي تعترضه في طريقه عند تحقيق اليقين بالسير الصحيح إلى الرسول – ﷺ – ونبدأ بالإستمرارية والشمول .

١ – الاستمرارية والشمول .

{ كان خلقه القرآن }

هكذا قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله – ﷺ – عندما سئلت عن أخلاقه – عليه الصلاة والسلام –.

والحق أننا لا نقتصر في فهم معنى { كان خلقه القرآن } على أن ما مدحه القرآن كان فيه رضاه ، وأن ما ذمه القرآن كان فيه سخطه ، ولكن نأخذ أيضا من هذه الإشارة بالإضافة إلى المعنى السابق ، أن أخلاقه – ﷺ – ماثلت القرآن في ثباته ووحيه وقوته واستمراريته ، وإلى غير ذلك من عوامل القوة التي أضفت على القرآن الاعجاز ، وأضفت على رسول الله – ﷺ – الإنفراد والتميز.

فهذه الأخلاق النبوية هي التي يقف بها المؤمن – عند القيام بها - في بستان السعادة آمنا مطمئنا ، ثابتا راسخا ، تكسوه السمات الربانية ، يهابه

العظماء ، ويقدره العلماء ، ويقتدى به الاتقياء ، يتقدم بها في صفوف المؤمنين ، ويكون بين سائر الخلق من المتميزين .

فتحلى المؤمن بأخلاق النبي - ﷺ - في جميع جوانب الحياة تكسب المؤمن قوة على نفسه ، وتمنحه رفعة في أعماله ، وصفاء في أقواله ... فتجعله حسن الخلق مع الله[١] وحسن الخلق مع رسوله - صلى الله عليه- باتباعه - ﷺ - ، وحسن الخلق مع عباد الله .

فهي إكسير التميز والقوى المتجددة

فالأخلاق الحسنة تعتبر هي المادة النقية التي تطهر النفس من براثن العادات الخاطئة والمعاملات السيئة داخل المجتمعات ، إنها إكسير التميز الذي يضفي على صاحبه القوى المستمرة والمتجددة .

لقد وضحت لنا حكيمة قريش أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – أن محاسن الأخلاق لا تأتي لحاملها إلا بالخير ، ولن يكون صاحبها إلا في معية الله ، وبزغ هذا الإيضاح إلى النور عندما عاد إليها الرسول – ﷺ – وهو

---

[١] قال بن العثيمين رحمه الله : حسن الخلق مع الله بان تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا ، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

يرتجف مما نزل عليه في غار حراء ، فاستقبلته بنفس مطمئنة ، قائلة له {**كَلّا ، أبْشِرْ، فَواللَّهِ، لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، واللَّهِ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ**}[١]، فإذا ما كانت نجتمعة فيك تلك الخصائص فلا داعي من الخوف ، فإنه مع تلك الأخلاق الحسنة التى تتحلى بها فلن يكون لك من الله إلا ما هو خير.

وإذا ما يممنا وجهتنا قليلا نحو موقف أبنة شعيب من موسى - عليه السلام - وإعلانها سر ترشيحها له من أجل العمل لدى أبيها حيث قالت كما جاء في القرآن ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦] فكانت الأخلاق هنا محل اهتمام ونقطة تميز ومصدر قوة وأساس الإختيار.

وقد نبهنا رسولنا – ﷺ – إلى اهمية الاختيار على اساس الأخلاق في الكثير من الأمور ومنها ما رواه ابو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال { **إذا أتاكُم من**

---

[١] رواه مسلم.

تَرضونَ خُلقهُ ودينهُ فزوّجوهُ، إلا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ } [١] ، فكل ما بني على اختيار محاسن الأخلاق طال عمره ، وحسن عمله ، وسما نجمه ، ورفع ذكره ، وخلد أثره .

فالأخلاق الحسنة في نفوس حامليها ، تبث بينهم روح الألفة والمودة والمحبة والتعاون وتنزع من نفوسهم جميع محاور الشرور من أحقاد وضغينة وكره وطغيان، وهي من أكثر العوامل التى تمنح الإنسان مرونة في التعامل مع الأخرين ، بدرجة تشبه إلى حد كبير تلك المادة الزلالية التي تقع بين مفاصل العظام بالجسد ، فإنها تقوى من عزائمه وتيسر من تقديم الدعم للأخرين وترفع عن كاهله المشقة ، وكذلك فإن مادة حسن الخلق تقوى عزائم المؤمن بمنحه مجموعة من الفضائل التي تثبت قواه ، وتيسر له متطلبات الحياة عن طريق الرضا ، وترفع عن كاهله الأذى بالتفويض والتوكل على الله ، وقد بين لنا – ﷺ – تلك المرونة التي تمنحها فضائل الأخلاق لحامليها من خلال إشارته لما يجب أن يتحلى به المؤمن منها ، وخاصة التجار ، حيث قال **{رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى}**[٢] .

---

١ السلسلة الصحيحة .

٢ رواه البخاري .

والحقيقة أنه لا تقل قوة الأخلاق الحسنة تأثيرا عن قوة الفكر وقوة الجسد ، هذا ما لم تكن تضاعف تلك القوى بالعشرات ، بل بالمئات ، كما أن تلك القوى قد تتضائل ما لم تستمد عنفوانها وتستلهم شبابها وثابتها وثوابتها من القانون الأخلاقي ، ويظهر مدى تأثير قوة الأخلاق في عمليات الفتوح الإسلامية بعدما أُستبدلت القوى العسكرية بقوة الأخلاق التي كانت نتائجها أكثر من المتوقع ، حيث أثمرت ليس فقط عن دخول مساحات كبيرة في حيز الدولة الإسلامية ، ولكن أثمرت عن قدرة كبيرة في انتشال الكثير من مستنقع الضلال والإضلال ، إلى طريق الهدى ودين الحق ، فأظهر من خلالها من دخل إلى دولة الإسلام تماسكا وثباتا ويقينا ، لا تعرف فيه أفئدتهم إلى النفاق طريقا ، ولا تقبل قلوبهم إلى جانب الإيمان شريكا ، فكانت تلك القوى - الفكرية والجسدية والنفسية- بمثابة القوى المتجددة التي لا تقبل النفاد ولا التضاؤول ولا الضعف إذ تستمد طاقتها من الوحى الإلهى والمنهج النبوي .

وعلى السطور التالية نشاهد كيف استطاعت الأخلاق الحسنة أن تغير مجرى القلوب قبل أن تغير مجرى الأجساد ، فهيا بنا .

الأخلاق تدير أعظم حرب عرفها التاريخ

إن الأخلاق الحسنة للمسلم لا يتوقف ظهورها على مواطن السلم فقط ، ولكنها تظهر في أزهى صورها في حالات الحرب أيضا ، فها هي تدير أعظم معركة عرفها التاريخ لصالح حامليها ، والآن دعني أسطر أحداث تلك المعركة بحروف ذكية نتنسم عبيرها لتكون لنا نبراسا في مؤهلنا الرابع .

قصر دلكشا في سمرقند تم تشييده في عهد تيمورلينك

فقد حدث في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله ورضي عنه، حينما أتى الجيش الإسلامي بقيادة قتيبة بن مسلم على مشارف مدينة سمرقند . حيث أمر الجيش بأن يتجه للجبل خلف المدينة، لكي لا يرى أهل سمرقند جيش المسلمين فيتحصنوا.

وفي لحظة مباغتة هجم على المدينة بكتائب الجيش من خلف الجبال ، وكأنهم إعصار منهمر .. وسبحان الملك .. وإذا بهم وسط سمرقند فاتحين لها ومهللين بذكر الله، لم يملك أهل المدينة إلا الاستسلام التام .

لكن هل تجزئ هذه الطريقة في فرض السيطرة أمام الكهنة والرهبان ، فقد أيقنوا أن الأمر كان مباغته، حيث لم تمنح لهم فرصة التفكر أو الإستعداد والمواجهة، فاشتكوا إلى قاضي المسلمين، أن قتيبة لم ينذرهم ولم يخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب .

وعلى الفور استدعى القاضي للقائد { قتيبة } الذي وقف أمامه وبدأت المحكمة.

فقام الكاهن وقال: إن قتيبة بن مسلم دخل بلادنا بدون إنذار، كل البلاد أعطاها إنذار وخيارات دعوة للإسلام أو الجزية أو الحرب، إلا نحن هجم علينا بدون إنذار!!! .

فسأل القاضي قتيبة قائلا : ما ردك يا قتيبة على ما قال الكاهن؟

فقال قتيبة: أصلح الله شأن القاضي، فالحرب خدعة ، وهذا بلد عظيم وعقبة أمامنا ، وكل الذين كانوا مثله كانوا يقاومون ولم يرضوا بالجزية ، ولم يرضوا بالإسلام، وهؤلاء لو قاتلناهم بعد الإنذار سيقتلون فينا أكثر مما نقتل فيهم ، وبحمد الله بهذه المفاجأة حَمَينَا

المسلمين من أذى عظيم ، نعم إننا فاجأناهم ، ولكن أنقذناهم وأدخلناهم الإسلام.

فقال القاضي : يا قتيبة هل دعوتهم للإسلام أو الجزية أو الحرب؟

فرد قتيبة: لا. فاجأتهم لما حدثتك به من خطرهم .

فقال القاضي: يا قتيبة ما نَصَرَ الله هذه الأمة إلا بالدين واجتناب الغدر وإقامة العدل، والله ما خرجنا من بيوتنا إلا جهادا في سبيل الله، ما خرجنا لنملك الأرض ونحتل البلاد ونعلو فيها بغير حق .

وتأتي الكلمات مدوية على الحاضرين ، ثم يصدر القاضي حكمه ويقول : حَكمتُ أن تخرج جيوش المسلمين جميعا من هذا البلد ويردوه إلى أهله ويعطوهم الفرصة ليستعدوا للقتال ، ثم يخيروهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب، فإن اختاروا الحرب كان القتال ، وأن يخرج جميع المسلمين كافة من سمرقند خِفافا كما دخلوها -أي بلا مكاسب تجارية- وتُسلم المدينة لأهلها، وذلك تطبيقا لشرع الله ﷻ وسنة نبيه محمد - ﷺ-.

وهزت جنبات قلوب الحاضرين فرحا بهذا الحكم ، وبدأ المسلمون يخرجون من المدينة حتى القاضي قام وخرج من أمام الكهنة.

أخذت علامات التعجب وعدم التصديق تلوح فوق الكهنة والرهبان مما يجري ... ما هذا ؟ ، ما الذي يحدث ؟ أبعد كل ما وصل

إليه المسلمون من سيطرة داخل مدينتنا يتركوها بكل هذه السهولة ؟ ، وأخذ أهل سمرقند ينظرون للمسلمين حتى خرجوا وخلت المدينة منهم وأصبح صوت الرياح يدوي في الشوارع بعد خلوها من أي حركة .

وهنا يصرخ أحد الكهنة بملئ فيه ، قائلا : والله إن دينهم لهو الحق وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

فتنزل الكلمات كالمنجيات على قلوب جميع الكهنة والرهبان ومن تابعهم من أهل المدينة ، بعدما تذوقوا صدق منهج المسلمين ، فينطقوها بلسان واحد وواضح ، أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويدخل الجميع الإسلام ، وتتحول المدينة بين عشية وضحاها وبدون أي حروب من مدينة كانت منغمسة في أفكار الضلال ، إلى مدينة تزخر بالهدى وحسن الإتباع ، تلك هي قصة أعظم حرب عرفها التاريخ ، بعدما أدارتها الأخلاق وليس السيوف .

❊ ❊ ❊

فالتحلي بأخلاقه - ﷺ - ليست كلمات يترنم بها من يدعيها ولا جمل يتغنى بها أصحاب الحديث الشجي بين جموع المستمعين .... التحلي بأخلاق الرسول – ﷺ - ليست دموع تنساب بلا جذور قلبية ، كما أنها ليست تمايلات جسمية لمدعى الهيام الأبدي ، ولكنها في الحقيقة هي :

* منهج حياة يضبط ميزان تعامل الفرد مع نفسه ومع أفراد أسرته ومجتمعه ، يضبط ميزان الفرد في العطاء والتضحية والمثابرة نحو الاعمال الجليلة التي تفيد دولته وعشيرته .

* تجعل القانون الخلقي أعلى مقاما وأكثر مراعاة في تطبيقة عن القانون الوضعي ، فتكون السيطرة الداخلية بالنفس أقوى من السيطرة الخارجية ، فلا يتوانى الفرد عن تطبيق الحق وإن غاب عنه القائمون عليه ، حيث لا يرضى بغير الحق بديلا ، بل إن كان الحق له، سار في طريق الإيثار وصنع من أجل ذلك المستحيلا .

* يعتبر منفذ الوصول إلى جميع القيم الرفيعة ، وأساس الثبات في الطريق إلى رسول الله - ﷺ - .

ونقف الآن عند الثمرة الثانية التي تعتبر من أعظم ثمرات محاسن الأخلاق حيث تحمل النواة التي سوف تنبت اليقين الجازم بمدى تحقق الفوز للمؤمن في الدار الآخرة ، فهيا بنا لنتعرف عليها .

٢- حسن الاقبال إلى الله .

نعم إن من أجمل محاسن الأخلاق عند الفرد أو الإنسان أن يكون مقبلا على الله سبحانه وتعالى بما أراده .

وقد وضح لنا رسول الله – ﷺ – مكانة أصحاب الخلق الحسن عند رب العزة فقال {**إن الله ﷻ كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ، ويبغض سفسافها** } [١] وقال أيضا – ﷺ – فيما رواه أبي الدرداء { **ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيءَ** } [٢] ولذا أفضل ما يمكن أن يُقبل به العبد على ربه هو أن يُقبل بخلق حسن ، وقد بين الرسول – ﷺ – أيضا

---

١ السلسلة الصحيحة .

٢ صحيح الجامع .

هذا الامر لمن جاءوا سائلين مستفهمين عن أحب الناس إلى الله ، فقال لهم – ﷺ – { **أحبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أحْسَنُهُمْ خُلُقاً** } [١] .

كما حث النبي - ﷺ – جميع المؤمنين على حسن الخلق ودعاهم إليه ، ووضح لهم أهمية التحلي به ،وبين موطن أهله ودرجتهم في الأخرة ، حيث قال فيما رواه جابر بن عبد الله – ﷺ – { **إنَّ من أحبِّكم إليَّ ، وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا ، وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ ، والمُتشدِّقونَ ، والمُتفيهقونَ، قالوا : قد علِمْنا الثرثارونَ والمتشدِّقونَ، فما المتفيهقونَ؟ قال: المُتكبِّرونَ** } .

وقد بُدِئ الحديث باستخدام أدة التفضيل الواردة في لفظ {أحبِّكم} لفتح باب التنافس بين المؤمنين حول محاسن الأخلاق ، كما بين - ﷺ - أن القرب المكاني يوم القيامة له صلة مطلقة بمحاسن الأخلاق ، فالمسافة قد تطول أو تقصير بينك وبين رسول الله – ﷺ – كلً تبعا لما كنت تتحلى به من محاسن الأخلاق.

وبحسن الخلق ينال المؤمن محبة الله ومحبة رسوله - ﷺ -، ولا شك أن محبة رب العزة للعبد أعظم كثيرا من محبة العبد لله رب العالمين ، وكذلك فإن محبة الرسول للإنسان المؤمن أعظم كثيرا من محبة المؤمن للرسول - ﷺ- .

---

[١] صحيح ابن حبان .

ولكن ! ماذا عندما تغيب شمس الأخلاق ؟

جلس جمع من الأصدقاء يتجاذبون أطراف الحديث ، إلا أن هالة من الكدر اكتنفتهم على أثر سؤال تم طرحه فجأة ...وهو .. هل رأى أحدكم شمس الأخلاق وهي تغيب ؟

فنظر بعضهم إلى بعض ، وأخذ كل منهم يعصر فكره ، لا ليأتي من المغمور في عقله ولكن لينتقي ما هو أكثر فجاعة في نفسه .

فقال أحدهم : رأيتها عندما كنت واقفا في أحدى محطات المني باص ، وقد سمعت صدى سبابُ وشتيمة ، فلما تبينتها وجدت رجلاً يتطاول على إمرأة ، والناس حولهم قيام ينظرون ، وكأنهم في حلبة صراع الثيران يشاهدون ...وعندما حاولت أتدخل كان لي نصيبُ ليس بأقل من نصيب تلك المرآة وحدث ما حدث - وعند صعودي الباص رأيتها – شمس الأخلاق - تغيب أيضا مع صعود أمرة عجوز وهي تتحسس أرضية الباص خوفا من السقوط على أرضيته ، ولا أحد يفكر تحت راية الإيثار أن يمنحها الراحة بدلا منه .

وقال أخر : رأيتها تغيب بل رأيتها وقد ماتت مع هؤلاء الأطباء الذين قضوا السنين بين دراسة وتدريس علوم الطب ، وأقسموا قسما مغلظا يضمن حفاظهم على المهنة ويمنعهم من تخطي حدودها ، وقد يحقق لهم الحماية من وساوس الشياطين ، ومع ذلك لم يمنعهم علمهم ، كما لم تمنعهم مناصبهم من الإنضمام إلى هؤلاء العصبة المجرمون من البلطجية ، ليكونوا من كبراء الشركاء في تجارة الأعضاء البشرية .

وقال الأخر: رأيتها تغيب مع هذا المرشح الذي أعطى من الوعود ما كانت تشرئب له أفئدة الفقراء والمساكين باحثين عن سبل الراحة ، وبعدما تسلق على أكتافهم حتى استطاع الوصول إلى ذلك المنصب ، كان أول من غدر بأفئدتهم هم أولئك الفقراء الذين صاغوا له بأصواتهم جسرا محلى بالذهب للعبور إلى ساحة مجلس النواب ، ولكنه أصبح خنجرا مسموما في جنباتهم ، بدلا من يكون سيفا صارما في الدفاع عما لهم .

وهناك الكثير والكثير من المواطن التي تنعدم فيها الأخلاق ، بل وتظهر فيها بأسوأ الصور ، والمتسبب في ذلك هو تغييب الدين عن الميدان والإبتعاد عن مصدر الخلق والأخلاق وطرح الفطرة السليمة من قائمة التعامل .

❊ ❊ ❊

وإذا ما عدنا إلى حديث رسول الله – ﷺ - السابق { **إنَّ من أحبّكم إليَّ ، وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا**} ، فربما نستشعر تحذيرا ضمنيا من كلماته الأولى إلا أن هذا التحذير يأتي علنيا بعد بيان سر الحب الذي بدأ به كلامه - ﷺ - ، حيث أن الإنسان غالبا ما يحاول تجاهل الضمنيات في الكلام إذا ما كانت على غير ما يرغبه، فجاء كلام رسول الله - ﷺ – قاطعا لتلك المحاولة الأثمة من التجاهل ، وأتى بما هو ضد الحب فقال { **وإن أبغضكم إلى** ... } والبغض في أصله أكثر نكارة وأشد قبحا وضراوة من الكراهية ، ثم عدد رسول الله - ﷺ – مواصفات هؤلاء الذين وقعوا في فوهة البغض ، فكان في مقدمتهم هؤلاء الذين تميزوا بكثرة الكلام تكلفا وتصنعا ، ثم تلاهم بمن ماثلهم بكثرة الكلام ولكن دون احتياط واحتراز فأصبحوا متطاولين على الأخرين همزاً ولمزاً وغير ذلك، ثم ختم - ﷺ - حديثه بذلك المتعالى في كلامه والمستعلي على الاخرين بمحاولة إبراز نفسه وإظهارها عليهم .

وكل تلك السمات اللاأخلاقية التي قد يتصف بها إنسان إنما لا تبعده فقط عن مجلس رسول الله - صلى الله عليه - وسلم ولكنها تلقى به بعيدا عن المحبة و تدخله في دائرة بغض الرسولُ - ﷺ - له .

وقد جاء التحذير من الابتعاد عن اخلاق الرسول - ﷺ- في مواطن كثيرة ، وكلها على كثرتها لا ترى فيمن اتسم بها خيرا ، بل تثبت أنه لا خير فيه ، ونذكر منها ما رواه أَبِي هريرة – رضي الله عنه - حيث قال { **قبل رسول اللهِ - ﷺ - الحسن بن علي وعنده الاقرع**

بن حابس التميمي فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله - ﷺ - ثم قال : {مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ } [١] .

فمن جنس ما يكون العمل سيكون الجزاء ، فما أُفتِقَدَ الصدق إلا بعدما نًشر ما ليس صادقا ، وما ضاعت الحقائق إلا بعدما احتضنوا

الأكاذيب ، وما غاب التعاون إلا بعدما قدمت مصالح الأفراد على مصالح الجماعة ، وما ظهر ما لا رغبة فيه إلا بعدما عُمِل ما لا خير وراءه ... وما ..... وما ... إلخ .

فالإبتعاد عن معرفة أخلاق الرسول - ﷺ- وعدم التحلي بها ، يجعل الإنسان يفتقد إلى التعامل مع أخيه المسلم بالمنطق الإيماني ، بل يجعله يتعامل معه بمنطق آلي جاف فاقد الاحساس وفاقد الشعور بالاخرين ، مقدما حب نفسه وما تحمله من مظاهر - الأنا الأعلى - في كل شي ..... ولكن – واأسفاه – فإن انتشار هذا الاسلوب لا يأتي بخير ، فعند انتشاره في المعاملات تصبح الحياة كئيبة - وإن كانت مظاهرها تقول غير ذلك - ، وتصبح مخلخلة في مضمونها وإن كانت متناسقة في شكلها ، كما تصبح منزوعة المحبة ومسلوبة الاخوة وفاقدة المودة ... وإن قامت على شئ فلا يكون أساس قيامها إلا المصالح التي ما هي إلا مادة وهنة في بناء المجتمعات ، سرعان ما تزروها الرياح مع هبوب أول عاصفة .

❊ ❊ ❊

[١] رواه البخاري .

فالإنسان المؤمن المفكر والمتدبر ، الواعي لذاته ، اليقظ في حياته ، ، الطموح للأفضل في الدنيا والاخرة ، هو الذي يجعل محور ارتكازه يتمثل في الاقتداء برسول الله - ﷺ – قوله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ، فالمؤمن الحق هو الذي إذا ما اراد أن يعمل عملا ، ضرب في أعماق قلبه متسائلا – في قرارة نفسه - عما يريد أن يقدم عليه !!! هل كان هذا من أخلاق الرسول - ﷺ - أم لا ؟ فإن كانت الاجابة بنعم ! قام بالعمل دون تردد ... وإن كانت بـ { لا } توقف دون ريبه.

فهذا الإنسان - يا ترى - بعدما جعل سنة الرسول - ﷺ – وأخلاقه هي منهج حياته حقيقة وحكما ، قولا وعملا ، ظاهرا وباطنا ، فهل تتوقع أن يضعف يقينه بصدق مساره طريق الحق ؟ .

وتعتبر تلك المؤهلات – بمشيئة الله - غاية في الاتمام عند إعداد النفس والقلب للنيل من هذا الفضل الكبير ، ولكن هناك مؤهلا خامسا لا نستطيع أن نتجاهله لما يحويه من.....!!!!!

دعنا نتعرف على هذا المؤهل بصورة أكبر توضح لنا الاسلوب الامثل في تحقيق السلامة والوصول إلى الهدف .

فهيا بنا الآن

المؤهل الخامس

على أبواب هذا المؤهل يقف من يريد اجتيازه بنجاح وقد علم أنه من أصعب المؤهلات التي سيتعرض لها ، فإنه المؤهل الحاسم في تحقيق اليقين بصحة السير في طريق رب العالمين ... في الطريق إلى رسول الله – ﷺ - .

ورغم أنه المؤهل الأخير الذي سوف يصدر الحكم النهائي معه إما بالنجاح وإما بالرسوب إلا أن نتيجته سوف تثبت لك صدق أو عدم صدق أحكام المؤهلات السابقة أيضا .

فهو يعتبر { وحدة فرز وتصنيف حقيقية وأخيرة } لمستويات الأشخاص ، ليس على مستوى هذا المؤهل فقط ، ولكن أيضا على

مستوى المؤهلات السابقة منه ، فمن خلاله يَتبين لك أن الإيمان الذي تقلده الإنسان في المؤهل الأول ما إن كان إيمانا صادقا أم إلى غير ذلك يركن ، وتتبين لك النتيجة الحقيقة لمؤهل المحبة بكونها محبةً حقيقية أم إدعاء ، ويوضح لك حقيقة الفرد في حصوله على مؤهل الإتباع ، هل كان حصوله على هذا المؤهل استجابة حقيقة أم وظيفة تقليدية ؟ ، كما يبين لك مدى النجاح السابق في مؤهل الأخلاق بأن كان نجاحا عفويا أم منهجيا قائم على الاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى والطاعة لرسوله – ﷺ - .

حقا إن هذا المؤهل لا يستطيع اجتيازه إلا من عبر المؤهلات السابقة بكل ما يحبه الله ويرضاه وبكل ما فيه من طاعة واتباع لرسول الله – ﷺ –، فإنه وحدة فرز الشخصيات وتبيان الناس على حقائقها ، إنه المؤهل الذي لا يجتازه إلا من كان صادق العزيمة ، مخلص التوجه لله رب العالمين ، فقد قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٤] وفي هذا المؤهل يتم رسم التصنيف النهائي للشخصيات فيظهر المؤمن من الكافر و المنافق .

وقبل أن نعرف ماهية هذا المؤهل ، هيا بنا نحاول استشراف معناه من خلال الحدث التالي الذي نترك للسطور القادمه نسج ملامحه .

السقوط إلى القـاع !!

في إحدى الحلقات التعليمية و في أحد الدروس العلمية التي تتحدث عن الاخلاص في العمل والثبات في الطريق تطرقنا إلى تلك القصة .

فقلت : لقد انتشر واشتهر اسمه كمفكر اسلامي عربي حيث كانت له أراءه القوية التى ترفع الموقف السلفي وتدافع عنه ، بمنطق أنها ثورة روحية تعمل على تحرير العقل البشري ..... كما أنه دعا الأمة الإسلامية للعودة إلى التوحيد والوقوف مع المملكة العربية السعودية بكل ما يمكن القيام به ، وإلى اعتبار مكة وطن حي للمسلمين .

فسألوني : فمن هو هذا العالم ؟ وماذا جرى له ؟ وما علاقة قصته بهذا المؤهل ؟ .

ولكني قلت : لا تتعجلوا سنعرف !!!

إنه أحد المفكرين الإسلاميين في عصره وينتمي وطنيا إلى المملكة العربية

السعودية ، فقد مُدح أداءه وعمله وكتاباته ودفاعه عن الاسلام من فوق منبر الحرم المكي !! خاصة بعدما ألف كتابه الذي دافع فيه عن دين الله ، وقد اسماه { الصراع بين الإسلام والوثنية } حتى قال عنه بعض أهل العلم للملك عبد العزيز – رحمه الله - : إنه دفع به مهر الجنة ! .

ثم بعد ذلك بعدة سنوات يأتى كلا من الزيع والضلال ليطرقا أبواب قلبه – الذي أصبح مريضا - فيستجيب لها ، وتبدأ الشبهات تنسج حول أفكاره بيوت الشك والحيرة ، وتأخذه العزة بالاثم مع ما أصابه من غرور وغطرسة بعد زياع اسمه وزيادة شهرته ! ، ومع هذا الضلال وتحت تلك الشبهات ، يلتقط قلمه بعنفوان ليؤلف كتابا جديدا ولكنه باتجاه آخر هاجم فيه الإسلام بكل شراسة وقد أطلق عليه مسمى { هذي هي الأغلال } الذي ثار من خلاله على كل شيء عُرف عن المسلمين ، لا فرق عنده بين عادات وتقاليد وخرافات وعقائد فكان هذا الكتاب أكبر دعاية للإلحاد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فهمسوا متعجبين وقائلين : سبحان الله ، أَبَعدَ أن كان سيفا مع الإسلام أصبح ضده؟

قلت : نعم ، بعدما كان من أكثر المدافعين عن الإسلام ، أصبح من خلال هذا الكتاب من أكثر المعادين له ، وقد أكد على صريح هذا اللفظ الكثير من علماء أهل السنة والجماعة.

ثم أتبعت قائلا : وهنا قد تأخذ علامات الاستفهام موقعها من قلبك لتتسائل عن سر هذا التحول المريب و الغريب ؟ وعنئذ فلنقرأ هذه الآية بألسنتنا ونستمع إليها بقلوبنا لنتعرف على مسببات هذا التغير!!! ، فقد قال تعالى:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣] ، فعند كل طاعة يقدم عليها الإنسان فتنة يتعرض لها ، اختبارا وتمحيصا لحقيقته ، اللهم سلمنا من الفتن ، اللهم أحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا .

هام جدا ... للحصول على المؤهل

إن الثبات على الحق ومواجهة الفتن والتصدى للاعداء في هذا المؤهل ، { **مؤهل المجاهدة** } يحتاج من المؤمن إلى فطنة وقدرة على تمييز الصالح مما هو طالح ، تمييز الخير من الشر ، الحق من الباطل ، لذا جاءت الكثير من الآيات الكريمة تتحدث عن أصحاب العقول وذوي الألباب ، وأهمية التفكير والتدبر لمعرفة الابعاد الحقيقية لكل أمر وبيان الحقيقة من غيرها ، فلا تستهويه الشياطين ، ولا تعصف بأفكاره جوانح الشبهات ، فتشير الآيات إلى هذا الجانب ، ويقول الله

تعالى ﴿ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] و﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٦] .

ويحتاج المؤمن أيضا إلى الصبر عند القيام بالعمل والمثابرة عند الإقدام عليه ، ولذا جاء التوجيه الرباني بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فجاءت تلك الأوامر الأربعة لتجعل من المؤمن قوة راسخة في الميدان ، لتجعل منه قوة متجددة لا تقبل التضاؤل أو الإندثار في المعركة القادمه بينه وبين الباطل ، واتبع المولى سبحانه وتعالى تلك الأوامر الاربعة بجائزة حسية مشهودة وهي الفلاح ، ومنها الفلاح في الدنيا بتحقيق المكانة الكبرى وتسهيل نشر الدعوة إلى الله ، ومنها الفلاح في الأخرة الذي لا نعرف مداه لعظمة الأجر الناتج عنه ، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠] ، فباب الأجر فيه مفتوح لا حدود له .

وقد أخذ الرسول – ﷺ – بإزرِ صحابته - رضوان الله عليهم - ، مهونا عليهم ما هم فيه ، مسليا إياهم ، وذلك بإشارته إلى بعض ما تعرض له المؤمنون بالأنبياء السابقين في العهود السابقة ، مؤكدا لهم أن الفلاح مكفول لهم بمقدار ما كان من ثبات أمام الفتن ومكائد

الأعداء ، وهذا فيما رواه خباب ابن الأرت – ﷺ - حيث قال { **شَكَوْنا إلى رَسولِ اللَّهِ – ﷺ - وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنا : ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تَدْعُو لَنا ؟ فقالَ : قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللَّهَ ، والذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ** } [١] .

وربما تكون المؤهلات السابقة قد أوفت لنا بيان بعض هذه الاحتياجات ، ولكن من أكثر ما يحتاجه المؤمن بعد ذلك هو الاصرار والعزيمة في التصدي للأعداء .

فانظر إلى موقف من اجتمعوا ضحى في يوم الزينة ، وقد كانوا ضمن فريق فرعون ومناصريه ، انظر إليهم بعدما تبين لهم الحق وعزموا عدم البقاء على غيره ، انظر إليهم وإلى قولهم في الميدان وأمام الجميع غير هايبين لما يتقلده فرعون من سلطان ، ولا مكترثين إلى

---

[١] سبق تخريجه

تهدياته التى أعلنها لهم ... فالأمر بالنسبة لهم قد انتهى وقد باعوا الدنيا بالدين .. فقد حكى لنا القرآن الكريم عنهم ، فقال تعالى :

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ ﴾ [طه: ٧٢-٧٣] .

إعلان الحرب أم انتظارها ؟

لقد أخطأ من ظن من أهل الطاعة أنه أصبح بعيدا عن مرمى أعداء الحق وغواية الشياطين ، ومن صاحبه هذا الظن فقد أساء الفرية بل وأوقع نفسه في محاور الضياع .

فلكل طاعة يُقدِم عليها المؤمن معوق يضعه أمامه أحد أعدائه ، وقد وضح لنا القرآن الكريم تلك العداوات الموجهة نحو الإنسان المؤمن ، فقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، فإذا ما كانت الشياطين ومن وافقها تعادي الأنبياء فالأحرى حينئذ أن يكونوا أعداء لاتباعهم ، و من هذه الاية نعلم أن العداوة القائمة قادمة ممن هم في الأصل حاملي الجينات الشيطانية سواء كانت نسبتهم إلى الجن أو

الإنس ، وأن هذه العداوة هي أصلا في منهاجهم ، فلم يختلف عدائهم للنبي محمد – ﷺ – عن عدائهم لأنبياء الله السابقين ، وكما اتفقوا في منهج العداء ، أتفقوا أيضا في أسلوبه الشيطاني المارد المتمرد ، واتفقوا في وسائله المبنية على التبادل فيما بينهم لرسم خطوات الضلال والإضلال للبشر.

وهنا لو لم يأخذ المؤمن موطن الهجوم لأصبحت أفكاره ومعتقداته أرضا سهلة لتسلل الاعداء ، وأياً مِن هؤلاء الأعداء لن يرضى عن إضلال المؤمن بديلا بإي وسيلة كانت ، فإن لاحظ استقرار الإيمانفي القلب فلن يستكين العدو لذلك ، وسوف يحاول بكل ما يملك من قوة أن يجعله متلبسا بظلم ... وإن ظهر الاتباع في عملك فقد يتفطر العدو ألما وكمدا ما لم يلوثه بالرياء أو بالابتداع ، ومن هذا القبيل تجد الكثير ، فإنه في تربص دائم ومكر متراكب ، وعلى المؤمن أن يستعد.

لذا كان الهجوم على أعداء الحق ومواطن المعوقات وإعلان الحرب عليهم أفضل من الوقوف في صفوف المقاومة لهجماتهم ، وكلاهما خير لمن أراد أن يحفظ مؤهلاته السابقة في السير نحو اليقين بصدق العمل بما كان عليه رسول الله - ﷺ - .

ونعرض الان لأهم مواطن اعلان الحرب والهجوم على مواطن الفتنة و مصادر الضلال والإضلال لتحقيق الفوز بالمؤهل الخامس ، ونبدأ بتلك العدواة التقليدية القائمة منذ الأزل والتى لا مناص عن مواجهتها وهي :

١ – الهجوم على حاملي العداء الأزلى .

فلن يترك أبليس الإنسان في الدنيا بدون غواية ، ولن تترك الدنيا الإنسان بلا إغراء ، ولن تركن النفس بعيدا عن الإنسان بدون استمالته ، ولن تبعد ميول الإنسان عن تأثير الهوى ما لم ينتبه إلى ذلك ، كل ذلك موجود لا محاله ، وهؤلاء الأعداء الأربع لن يركنوا إلى الخمول أو الكسل أبدا .

ولا شك أنه بمقدار تشرب القلب من رحيق المؤهلات السابقة يكون مقدار ثباته ورسوخه أمام مواطن الاضطراب ومكائد الأعداء .

باديس يضرب بعزم !!!

الشيخ عبد الحميد بن باديس

لم تقف شياطين الإنس ببعيد عن نفس المنهج الإبليسي في الغواية للإنسان والسعي نحو محو الحقيقة الثابته في قلوب المؤمنين ، ولنعاين الأن هذا الموقف الذي يُعد نادرة تاريخية وعقائدية قلما تتكرر في العصر الحديث، حيث ورد في تاريخ الجزائر أن المندوب الفرنسي هدَّد الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - بغلق المسجد - الذي كان الشَّيخ يلقي فيه دروسه - قائلا :

إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار ، وإلا أرسلت جنودي لغلق مسجدكم و إخماد أصواتكم المنكرة .

فردَّ عليه الشيخ في عزة المؤمن وثباته قائلا له : إنّك لن تستطيع !!! نعم !! وأكررها لك مرارا ... إنك لن تستطيع .

قالها في ثبات ورسوخ { إنك لن تستطيع !!!! } .

فاستغرب المندوب الفرنسي من ردّ الشيخ وحدث له دوار من هذه الصدمة ، ثم قال له : كيف لا أستطيع ؟

فأجابه الشيخ قائلا : إن كنتُ في حفل عرس علمتُ المحتفلين.

و إن حضرتُ إجتماعا علَمتُ المجتمعين .

و إن كنتُ في سيارة علمتُ الراكبين.

و إن ركبتُ قطارا علمتُ المسافرين .

و إن دخلتُ السجن علمتُ المسجونين .

و إن قتلتموني ألهبتم بي مشاعر المسلمين .

فخير لكم ثم خير لكم ثم خير لكم ، ألاّ تتعرَّضوا لهذه الأمة في دينها ، فو الله لا نُقاتلكم إلا لهذا الدِّين[١] .

فهذه القوة ، وهذا الثبات لم يكن ثباتا محمول على نعرة وطنية بقدر ما كان ثباتا متأججا من عقيدة دينية داخلية راسخة لا تقبل الخضوع ولا الانصياع ولا الاستسلام إلا لله رب العالمين .

---

[١] من محاضرات الدكتور علي القرني .

منهج شيطاني متبادل

وكلما ضربنا بأبصارنا في أعماق التاريخ الشيطاني لنتحسس آلية العمل في مناهجهم من أجل تحقيق أهدافهم ، لوجدناها تتلاحم ما لم تكن هي في الأصل أمتدادا لما يدعوهم إليهم قائدهم إبليس عليه لعنة الله ، فلم تكن شياطين الإنس - في مكان ما - بأبطئ بالا من أمثالهم في موطن آخر ، ولكنهما يتسابقان لينعرا بصوت الباطل ويجعلا جولة النصر في صالحهم ، وكلاهما هو الصورة الكربونية للأخر ، ويسعون بكل ما أوتوا من قوة إلى القضاء على كل بادرة حق ، بل قتلها قبل ولادتها ، ونضرب مثالا حول هذا السياق ليعلم الغافل ما يكنه وما يخطط له أعداء الحق في كل مكان .

{ أ } ففي فترة سابقة عندما كان الاحتلال يتمرغ في سهوب البلاد الإسلامية وسهولها وانهارها وينهب من خيرتها دون أي وجه حق ، فكر ذلك المارد المتغطرس في تنويع سبل السيطرة والاستغلال حتى يضع لنفسه ضمانات البقاء ، فكان مما مارسه ورسمه لنفسه في البلدان الاسلامية أن عمل على بث سموم وزراعة الخلاف بين دوله وبين أبناء الوطن الواحد مهما كلفهم الأمر.

فشقوا للخلاف طرقا متعددة ، منها ما لم تكن تتوقعه ، فمثلا عندما أرادوا بناء خطوط للسكك الحديدية ، قاموا بوضع مقاسات مختلفة لها بين كل دولة والأخرى ، فبينما كان المقاس فيما بين الخطين في إحدى دوله ٩٠ سنتيمتر كان في أخرى ١١٠ سنتيمتر وهكذا ، حتى لا يتسنى لهذه الدول تحقيق الاتصال .

و تمادت زراعة الخلاف إلى غير ذلك وصنعت خلافات اقتصادية وخلافات قبلية وخلافات عرقية وخلافات ثقافية وخلافات في الأطر السياسية ، ثم زراعوا أكبر أنواع الخلاف تأثيرا في حياة المسلمين عامة وهو الخلافات الدينية من خلال غرس بذور الشهوات المتنوعة ، ورعاية نمو الشبهات ونشرها وبث الضغينة والفرقة بين الجماعات المسلمة ، وربما ، ما لم يكن أكيدا ، أن هذه الاختلافات الأخيرة هي التي قصدوها أولا وأخراء وما كانت تلك الاختلافات السابقة عنها إلا مقدمات لها .

{ ب } ولنجعل المثال التالي يبين لنا وسائل زرع الاختلاف العقائدي وأثره في التنظيم الدولي وتغيره من التماسك إلى التفكك ، ومرد ذلك في القضاء على العقيدة الصحيحة .

فكان مما حدث أيضا سابقا في إحدى القطاعات أو الاقليم الجغرافية الإسلامية ، أن عمل الاستعمار فيها على تفييت الفصيل أو المقاطعة الاسلامية إلى دويلات بطرق لا حصر لها ، ومنها عن طريق تجنيد مجموعة من منزوعي الضمير تحت مسمى شيوخ الفتوى ، وهم في الأساس لم يكونوا إلا شيوخا للفتنة بالحديث عن الشبهات أو شيوخا للعار بالحديث عن الشهوات ، ليقوموا بافتاءات متضاربه فيما بينهم ... مخالفة للحق موافقة للباطل الذي هم عليه ، مما صنع الاضطراب في قلوب بسطاء المعرفة ، فتخلخل التوازن الداخلي للإقليم الاسلامي فانفصمت عراه عروة عروة ، وأضحى يتسول الوحدة، وينشد الحسرة على الفرقة .

❊ ❊ ❊

فكان لتغذية الافكار بصور مغلوطة في الاعتقادات سواء في الصلاة أو الصيام أو الحج أو فيما يخص كل ما يحيط بالمرآة المسلمة أو اي شعيرة من شعائر الاسلام أحد أهم معاول الباطل في هدم روح الاسلام داخل قلوب معتنقيه.

حيث وقفوا بمعاول الشبه وإعلام الشهوة ليفتنوا كل من حاول السير في طريق الهدى، كل من حاول السير في طريقه إلى رسول الله - ﷺ.

فتجد مثلا من ينكر على شخص فعلا قام به متبعا فيه الرسول - ﷺ - ، بدعوى مبنية على اتهامه بالتقليد [١] وليس بالاتباع [٢] ليشعلوا في عقله جذوة الشبه فيعود إلى ما كان عليه من باطل ، وقد بين سبحانه وتعالى ذلك المقصد الواهي فقال:

﴿ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] وإن كانت الأيه في معرضها تتحدث كما قال الكثير من المفسرين عن مدى تزين الشياطين للمشركين في قتل أولادهم إلا أنها لها دلالات آخر ، منها أن كل تبرير يتعرض له المؤمن بإبعاده عن الحق ما هي إلا محاولة شيطانية لرده عن الطريق المستقيم .

❊ ❊ ❊

---

١ التقليد هو اتباع من ليس قوله حجة .

٢ في الحقيقة إن هذا القول مغلوط لمخالفته اصل مفاهيم التقليد والاتباع ، ولكننا للإيضاح بصورة مبسطة نسوق ما قاله ابن تيميه – رحمه الله – في هذه الجزئية في مجموع الفتاوى : التقليد الباطل المذموم هو قبول قول الغير بلا حجة ، ثم قال : إن التقليد المذكور لا يفيد علما، فإن المقلد يجوز أن يكون مقلده مصيبا ويجوز أن يكون مخطئا وهو لا يعلم أمصيب هو أم مخطئ ، فلا تحصل له ثقة ولا طمأنينة ، فإن علم أن مقلده مصيب كتقليد الرسول صلى الله عليه وسلم – فلابد أن يكون على صواب - وهذا واجب للعلم بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم معصوم - .

وننتقل من هذا الميدان الذي وددنا من خلاله إعلان الحرب على منتهجي العداء الأزلى المنبثق من الشيطان والكفار ، ننتقل إلى ميدان آخر نحارب فيه ذواتنا التي قد تنتهج ماليس له أصل في الدين أو جاء عن طريق الوضع والتضليل ، ويتمثل ذلك الميدان في استهداف جديد من نوع خاص وهو :

٢ – مقاومة انتشار البدع .

يعتبر تسلل البدع إلى قلوب المؤمنين من أخطر أدوات أهل الباطل للقضاء على الحق في قلوب معتنقيه ما لم يكن مسبوقا بتأهيل كامل في الهجوم عليه و التصدى له وتدمير أزرعه .

وعلى ذلك لم تكن تلك الخصال السالفة من الإيمان، وحب الرسول - ﷺ - واتباعه ، والتحلى بأخلاقه - ﷺ - بمنأى عن مواجهة الصعوبات في مجتمع ممتلئ بالمخالفات ، بعد أن أصبحت الأهواء – لمن ابتعد عن الدين – هي منبع لري أفكاره ومركز لرسم توجهاته .

وأشير إلى ذلك بمثال لتلك البدع التي لم أكن أتصور إن مثلها قد يحدث في هذا الزمان ، ولندع السطور التالية تحكي لنا ما دار مع هذا الإنسان تحت العنون التالي .

يشد رحاله .... إلى الشيخ القناوي

انه كان يعيش في عقده السادس من عمره ، مع مطلع القرن الحادي والعشرون ، ولا يزال يعمل لدى مؤسسة تعليمية مرموقه ، متقلدا منصبا تربويا رائدا ، يصب من خلاله خبراته ومعارفه ومعلوماته ، في عقول من هم على أبواب العمل التعليمي .

يقول : لقد نذرت الذهاب الى ضريح سيدنا الشيخ القناوي ، إذا ما استطاع ابني تحقيق ما كنا نتمناه من مقام تعليمي محمود الهيئة ، غزير المال .

وبعدما تحقق ما كنا نرنو إليه ، عزمنا الوفاء بنذرنا ، فاخذنا من الذبائح ما يفي بمن يمكن أن نلقاهم على قدر ، عند مقام الشيخ القناوي .

وضربنا بأكباد سيارتنا بعد صلاة العشاء ، حتى وصلنا إلى وجهتنا مع طلوع شمس اليوم التالي ، فنزلنا نتلمسُ مواطن الراحة من وعثاء السفر ، وما هي إلا سويعات معددوة وأعلنت الشمس موطنها في منتصف السماء ، فصلينا الظهر ، ثم نحرنا ذبائحنا ، ودعونا من هم قائمون حول ضريح الشيخ ، فطَعِمنَا وأطعَمنَا ، وظللنا نغدو ونروح ما بين السكن والمقام على مدى أيام ثلاث .

وعندما عزمنا الرحيل في اليوم الرابع ، أدركتني رغبة في حمل بعض اللحوم المتبقية معنا إلى فقراء بلدتنا ، ولكني فوجئت أن

المشرف على الضريح أخبرني بأن تلك اللحوم قد تتعرض للفساد إذ لم أستئذن من الشيخ القناوي .

فقلت له : كيف أستئذن منه وهو ميت ؟

فقال لي : يا شيخ !! الأمر بسيط جدا !! ألست مؤمنا بولايته ؟

قلت له : نعم !! إنه ولي من أولياء الله الصالحين ، وما شددنا الرحال إليه إلا إقرارا منا بصلاحه وولايته .

قال : إذن !! فهو تسرى معه أحكام غير تلك الاحكام التي تكون لسائر الموتى ، وما عليك إلا أن تقف على مقربة من الضريح متوجها نحوه ، متحدثا إليه برغبتك في حمل اللحوم إلى بلدك موضحا الاسباب الداعية إلى ذلك ، وبعدها سوف تلمس الجواب مما تعاينه .

يقول : فوقفت على وَجَلٍ ، وقلت له : يا شيخ إنني أستئذنُك في أخذ بعض من اللحوم إلى فقراء بلدتي ، وسوف أقدم لك وعداً أن لا يكون منها نصيبا لغيرهم .. ثم انصرفت .

ويقول : وعندما وصلنا إلى البلد وجدنا اللحوم سليمة لم يتعرض أي شئ منها للفساد!! فالحمد لله الذي أرسل لي مشرف الضريح حتى أفادني بتلك المعلومة ، والتي لولاها ما وصل شئ سليما من اللحوم إلى فقراء بلدتي .

وفي الحقيقة كنت أود التعليق على هذه القصة ، ولكنى سأترك لك هذا الأمر بعدما تحدد الجوانب الشركية التي اشتملت عليها

القصة ومسبباتها ، فحسبنا الله ونعم الوكيل في كل مبتدع أفاك ضال مضل أو دعى إلى الإبتداع أو قام بدعمه .

خطبة رنانة ... محورها حديث باطل

قد لا يسقط الإنسان في ضلالة إلا بعدما يغذي قلبه من مصادر خاطئة ، ويجعل عقله مرتهنا بأفكار أصحاب هذه المصادر الشاذة المضلة ، فهيا بنا الآن لنرى أحد تلك المصادر.

فقد أخذ أحد ممن أدعى الفقه في الدين يتحدث في خطبة له بصوته المرتفع الرنان ، بصوت كأنه يشق الصفوف ويجيش الجيوش ويحارب في الميدان ، شارحا حديثا – عن فضل الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ – زاعما أن الحديث وارد عن الرسول - ﷺ - واستطال وأطال في الشرح ، وأخذ يفند ويقنن ويضرب أمثلة يدمج فيها الخيال بالواقع والواقع بالخيال .

ولم يكتفي بذلك بل حذر المستمعين من المساس بما يقول من خلال تطاوله لسانيا على الأخرين من علماء السلف الثقات .... واتهمهم بالجهل والبلادة وسوء الفهم وقلة الحصافة لعدم أخذهم بهذا

الحديث .... وزاد وكاد ..... وانهى كلماته الرنانة بأنه هو الاحق بأن يؤخذ عنه العلم .

والحقيقة أنه لا علم له ، بل حق عليه قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] .

وأسفاه على ما قاله ... وأسفاه على ما شمر سواعده إليه ، فعند مراجعة الحديث الذي استند عليه تجده أنه ظاهر البطلان ، مكذوب على رسول الله - ﷺ - وما كانت دعواه في حقيقتها إلا دعوة مبتدع من خلال مصدره الخاطئ أو هواه المسيطر أو شيطانه المتمرد ولاشك أن أسلوبه وإدعائه الثقة المفرطة في معرفة مصدر الحديث مع غياب المعرفة الحقيقة عن قلوب المستمعين له جعل الكثير بل الاغلبية على جانب كثير من التصديق .

ولو تساءلت !!!! لحساب من يعمل هذا ؟ وما الثمرات التي يجنوها من هذا الأفك وهذا الافتراء ؟ فلا تجد جوابا غير أنه يعمل لحساب الشيطان بامتياز ، ولا يجنو منها إلا أن يكون عضوا في حزبه - من أجل - تحقيق هدفه ووعيده لبني أدم في الإغواء .

* * *

إن هذه الحرب المعلنة من البدع لتراوغ وتطاول ، وهذا يتطلب من المؤمن أن يتصدى لتلك المغالطات باقوى ما يمكن ، سواء ببث مواجه لها وسريع ومباشر ، ونشر واضح ومبسط للسنة الصحيحة عن رسول الله - ﷺ - أو بإزالة المغالطات و بكشف الشبهات عن المتشابه فلا يجعلها تتسلل إلى قلبه مهما كانت ، ويفندها أمام من تلتبس عليه ، ويلتزم قولا وعملا بما جاء من هدى الرسول - ﷺ - .

* * *

وإذا ما سكنت الأمور وهدأت الأوضاع واستطاع الإنسان التغلب على نفسه التي قد تستجيب لمغريات البدع ، فقد تظهر له بادرة الانطلاق نحو العمل الدنيوي بصورة تدخل حيز الاسراف ، قد يكون لها أثرا سلبيا على معدل إقدامه وعدم اشتعال جذوة همته ، فيلقي بأعمال الأخرة إلى الوراء من ظهره ، ولذا وجب الانتباه إليها من خلال العمل على إخماد جذوتها بصرف الإنشغال بها ، إلا في حدود ما يقوى العزائم ، ووكذلك بتقديمها كاملة وخالصة لله رب العالمين ، كما علمنا ربنا:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ، بمعنى أن يكون كل عمله من أجل الله ، ومراعيا فيه حق الله،

ومقرا بما هو فيه أنه من عند ومن فضل الله ، ولندع السطور التالية ترصد لنا ماهية المواجهة الثالثة وآليه تحقيق الانتصار فيها .

٣ – إخماد جذوة المشاغل .

المشاغل أو كثرة الاعمال الدنيوية سوس ينخر في بنيان أوقات الطاعة ، خاصة بعدما أصبح المجتمع يئن من كثرتها ، والحقيقة أن التعرض للإنشغال وكثرة الاعمال أو الاحتجاج بهما لم يكن وليد اللحظة ، ولكنه كان منذ العهود السابقة حجة المقصرين ، حيث يقول المولى سبحانه تعالى عن المخلفين من الأعراب في بيان حجتهم أمام رسول الله - ﷺ - قالوا ﴿ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ ﴾. [الفتح: ١١]

ولكن استفحل أمر زيادة المشاغل في هذا الزمان وزادت مؤثراتها السلبية ، وهذا مرجعه ليس إلى كثرة أو تكاثر الاعمال فقط ، ولكن يعود بصفة أكبر إلى سوء في إدارة الوقت وعدم تجديد النية بجعل الوقت من أجل الله تعالى.

ومع إهمال الإنسان نفسه بعدم أعطاءها حقوقها وعدم تهذيبها روحيا ، أصبح أقل القليل من المشاغل يستولى على كامل أوقاته ، فتجد عقارب الساعة متسارعه رغم قلة الانجاز.

وفي ظل هذه الظروف والنزاعات وكثرة المشاغل قد تجد الإنسان في متاهة ، لا يعرف أين طريقة ... فتجده ليس لديه وقتا يخصه لتلاوة آيات من الذكر الحكيم أولتطبيق سنة تعبدية من سنن الرسول - ﷺ - سواء أكانت بالليل أو بالنهار ، أوحتى إفراد وقتا للصلاة والسلام على الرسول - ﷺ - في يوم الجمعة أو غيره أو مطالعة حديث[١] عن رسول الله - ﷺ-ليكتسب فضيلة ذكره - ﷺ- والصلاة والسلام عليه .

والحق أنه حتى يكون الإنسان قادرا على إخماد جذوة كثرة الاعمال وزيادة المشاغل في الحياة عليه أن يجعل تلك الأعمال من أجل الله – سبحانه وتعالى – كما يجب عليه أن يجيد فن ترتيب الاوليات وإدارة الاوقات ومعرفة فضائل الاعمال وتحديد قدر كل عمل دنيوي واثره وقبل كل ذلك تصفية قلبه لله سبحانه وتعالى .

---

[١] يقول العلماء في فضائل مطالعة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء فضلا أن يخرج من قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجر الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

وقد كان صحابة رسول الله - ﷺ- يدركون ذلك ، فكانوا كثيرا ما يسألون رسول الله -ﷺ- عن أحب الاعمال إلى الله ، وأفضل الاعمال إليه سبحانه ، ثم يتوجهون إليها مباشرة .

ونأتي الأن إلى نطاق المقاومة الرابع والتي تظهر من خلالها مدى كياسة المؤمن وفطنته في التعامل مع من هم أقرب الناس إليه ، حتى يجعلهم عوامل قوة في إقدامه وليسوا نقاط ضعف تخمد همته ، بل ويكون لهم داعيا ومغيرا لما هم عليه من جوانب القصور والضياع .

٤- مقاومة منكري الحق .

ومن معوقات التطبيق أو السير في الطريق إلى رسول الله - ﷺ -، تلك المواقف السلبيه التي قد يواجهها الإنسان ويلمسها عند بعض الأباء أو الأبناء أو الزوجات أو الاصدقاء .. أو تلك المواقف السلبية التي تتبناها بعض مؤسسات الاعلام أو غير ذلك مما له تأثير بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

تقول أحدى الفتيات عندما بدأت طريق الالتزام والعمل بما كانت عليه إمهات المؤمنين ، كان مما سلكته في طريقي إرتداء الزي الاسلامي بمعناه الصحيح الوارد عن أمهات المؤمنين ،

ولكن كانت أولى المشكلات أني وجدت اعتراضا من أبي على هذا الزي !!! لا لشئ إلا لان المجتمع ينكره .

ويقول أحد الشباب أنه وجد اعتراضا قويا من أبويه ، ووتهكما عتيا من بعض أصدقائه عند ألتزامه وبدءه في السير نحو الطريق إلى رسول الله -ﷺ -خاصة بعدما أخذت مظاهر الاقتداء بسنة الرسول – ﷺ – ترسم سماتها على ملامحه !!!!.

وربما تكون حجة المحتجين وفكرة التاركين لسنة الرسول - ﷺ - تدور حول أن الدين ليس عبائة ولحية ، ليس تقصير ثوب أو تغطية رأس ، والحق أن الدين ليس كله قاصرا على عبائة أو لحية فقط ، ولكنه منهج حياة ، ولكن الحقيقة أن من الدين الالتزام بما كان عليه رسول الله - ﷺ- والعمل به ، ومن دعى إلى غير ذلك فقد خالف هدى المصطفى -ﷺ- .

مع الاصرار .... هذه النتيجة !!!

فالإنسان الذي يستطيع التغلب على المعوقات التي تواجهه وأن ينظم وقته وجهده ، ويحافظ على عبادته ويعزز من قيمه الاسلامية وينمي الأعمال الصالحات في حياته ، لاشك أنه بذلك يكون إنسانا واعيا ، منتبها إلى قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة: ١٤] مدركا تمام الادراك لما يقال وما يتردد من حوله ، فلا تعبر أمامه الكلمات سدى دون رد مناسب يتبعها ، ولا يجعل اللحظات تمر في حياته بلا فائدة ولا يعطي فرصة للشيطان أن ينال منه ، ولا يسمح لأحد أن يرد دعوته ويثبط همته ، ولو نفرت نفسه إلى الابتعاد أخذ بعزائمها نحو اليقين .

فهذا الإنسان المؤمن ... وما يحمله من مقاومة للباطل ، بل وإبعاد له من طريقه ... هل من الممكن أن ينام قلبه عن الانتباه للحق ؟ وهل تتوقع أنه سيدرج نفسه مدارج المخالفين للسنة ؟ ويبتعد عن اليقين بصحة سيره في طريقه إلى رسول الله -ﷺ- ؟ .

في آمان الله

هذه المؤهلات الخمس بلا شك سوف تساعدك بمشيئة الله تعالى وتأخذ بيديك نحو اليقين بصدق السير في الطريق إلى رب العالمين وبهدي خير المرسلين محمد – ﷺ -.

وإذا دققت النظر في تلك المؤهلات الخمس سوف تجد أن أثرها يتعدى جميع أعمال البر التي تقدم عليها ، ولذا ينبغي على الإنسان أن يراجع تلك المؤهلات الخمس عندما يجد في نفسه قصورا أو مخالفة ، فإذا ما وضع يده على موطن الالم ومحل التقصير وعمل على علاجه استطاع أن ينطلق بأمان نحو الهدف والوصول إلى الغاية .

وقبل أن نيمم وجهتنا نحو مغادرة صفحات الكتاب دعنا نرصد تلك القصة التي تكاد تكون جمعت بين المؤهلات الخمس في فترة وجيزة وبقوة حاسمة ويقين جازم بصدق السير إلى رسول الله – ﷺ – وتبدأ أولى مؤثرات تلك القصة بعدما هاجر النبي – ﷺ – من مكة متوجها إلى المدينة .

فقد بقي في مكة بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – الذين منعهم المرض أو كبر السن من الهجرة ، ومن هؤلاء الصحابة ، الصحابي الجليل ضمرة بن جندب ... حيث لم يكن في مقدرته تحمل مشاق السفر عبر تلك الصحراء القاحلة وما يغض بها من حرارة مرتفعة ، فجلس في مكة مرغما .

ولكنه – ﷺ – لم يتحمل البقاء بين ظهراني المشركيين وهم يحملون برود الشرك ، وقد أيقن مدى سعادة الصحابة وهم بصحبة رسول الله – ﷺ – وينعمون برؤيته وبالصلاة خلفة – عليه الصلاة والسلام - .

فاتخذ قرارا حاسما حيال هذا الموقف وعزم على الهجرة بأي صورة كانت ، متجاهلا كبر سنة ، وزيادة مرضه وشدته ، وطول الطريق وصعوبتها .

فخرج – ﷺ – متوجها نحو المدينة ، يحاول أن يطوي الساعات والمسافات طياً ، ولكنه وفي أثناء مسيرة يشتد عليه المرض بصورة كبيرة ، فعلم حينئذ أن الموت قادم لا محالة ، وأنه لن يستطيع الوصول إلى المدينة .

فوقف – ﷺ - وضرب كفا على كف ، ليس أسفا على خروجه ولكن ليقينه بصدق سيره ... وقال وهو يضرب الكف الأول : اللهم هذه

بيعتي لك، ثم قال وهو يضرب الثانية : وهذه بيعتي لنبيك محمد – ﷺ – ثم سقط ميتا – رضي الله عنه - .

فنزل جبريل - عليه السلام- على النبي – ﷺ – يخبره بما حدث لضمرة ، ثم نزل قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠] .

فجمع النبي – ﷺ – صحابته وأخبرهم بما حدث مع ضمرة ، ثم قال – عليه الصلاة والسلام - حديثة المشهور : { إنما الأعمال بالنيات..... } .

فحاز ضمرة – رضي الله عنه – شرفا لم يحز غيره بمثله ، حيث نزل فيه قرآن وجاءت بسببه سنة ، علما بأنه لم يصل إلى المدينة .

وهنا ندرك أنه مع تمام المؤهلات يكون العزم في السير نحو اليقين بصدق الوجهة في الطريق إلى رب العالمين التي ليس شرطا فيها أن تصل إلى نهايتها ولكن اليقين بها أن تموت عليها .

اللهم اجعلنا لك كما تحب وترضى .... اللهم آمين .

تمت

فهرس

حديثان للتفكر ٥
قبل أن نبدأ !!! ٦
المؤهل الأول ١٣
ما أروعك يا خزيمة !!! ١٥
ثبات ورسوخ بالمؤهل الأول ١٨
لماذا تم استبعادهم ؟ ٢١
المؤهل الثاني ٣٥
ارتباط أم امتداد ؟ ٣٦
الإيمان والمحبة ٤٠
أولا - أنه من شروط الإيمان ... !!! ٤٠
ثانيا – أحد سواعد الإيمان وأساس العمل !!! ٤٣
معالجة المحبة لتصحيح الإيمان ٤٥
أولا – اتساع مداه وقوته ٤٥
ثانيا – خارج المنافسة ٤٨
تقول له : أنا أم أمك ؟ ٤٨
هل كان حائراً بين الحق ورغبة والديه ؟ ٥٢

ثالثا – الاعتدال في طبيعته !!! ٦٠
الرسول – ﷺ - في عيون محبيه ٦٣
المؤهل الثالث ٦٩
علامة استفهام ؟؟ ٧١
محاور الإتباع ٧٤
١- الشمولية ٧٤
٢- الالتزام والتقيد ٧٦
٣- المسارعة في العمل. ٧٨
لا آخذه أبدا ٨٠
وهذا معاوية يتراجع !! ٨١
هل من حجة عند المخالفة ؟ ٨٥
المؤهل الرابع ٨٩
لماذا اعتنق الإسلام؟ ٩١
علاقته بالمؤهل الثالث ٩٢
موروث لا ينتهي !!! ٩٤
١- الاستمرارية والشمول ٩٥
فهي إكسير التميز والقوى المتجددة ٩٦
الأخلاق تدير أعظم حرب عرفها التاريخ ١٠٠

٢- حسن الاقبال إلى الله ١٠٥
ولكن ! ماذا عندما تغيب شمس الأخلاق ؟ ١٠٧
المؤهل الخامس ١١٣
السقوط إلى القاع !! ١١٥
هام جدا ... للحصول على المؤهل ١١٧
إعلان الحرب أم انتظارها ؟ ١٢٠
١ – الهجوم على حاملي العداء الأزلي ١٢٢
باديس يضرب بعزم !!! ١٢٣
منهج شيطاني متبادل ١٢٥
٢ – مقاومة انتشار البدع ١٢٩
يشد رحاله .... إلى الشيخ القناوي ١٣٠
٣ – إخماد جذوة المشاغل ١٣٥
٤- مقاومة منكري الحق ١٣٧
مع الاصرار.... هذه النتيجة !!! ١٣٩
في آمان الله ١٤١